روايات عبير

صيف المطر الباكي

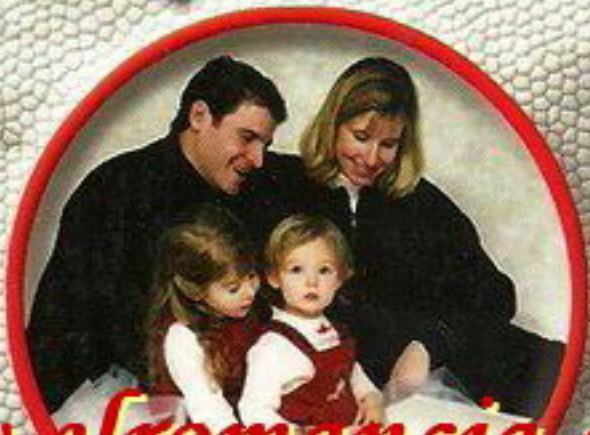

www.elromancia.com

مرمورية

No. 038

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

روايات عبير

صيف المطر الباكى

• بعد حادث سيارة بشع، خرجت منه معاقة الساقين، مشوهة الوجه، تحولت (ليزا مور) المدرسة الشابة إلى هيكل بشرى محطم الأمانى، يضج بمأساتها ومعاناتها النفسية التى لا ترحم، خاصة بعد هروب خطيبها منها.

ألحت عليها خالتها لكى تذهب إلى الريف لتضميد جراحها، ولملمة شملها، حيث أن لها صديقة تدعى إيريكا مات ابنها وزوجته فى حادث طائرة وتركا لها حفيدين، ترغب فى إيجاد مربية لهما لفترة مؤقتة.

وافقت ليزا، بعد ضغوط، وسافرت إلى السيدة إيريكا، التى تعيش مع ابنها الأكبر (آدم)، الذى كان حاد المزاج شرس الطباع. فنفرت منه وكرهته، وانتظرت بفارغ الصبر انتهاء مدة عملها لكى تعود إلى منزلها .. لكن الأحداث تواصلت .. وحدث مالم تتوقعه الفتاة البائسة المحطمة..!!

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١،٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١،٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

I.S.B.N. 977-376-109-6
9789773761097
W.Salama 0101517873

No. 038

روايات عبير

صيف المطر الباكي

ايفون ويتال

www.elromancia.com

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

١ ـ رحلة إلى المجهول

كانت الريح تضرب بعنف نافذة غرفة المعيشة فى تلك الشقة الصغيرة التى كانت «ليزا مورو» تعيش فيها مع أمها، وكان الناس فى الشارع الضيق من تحتها يهرولون فى طريقهم وقد أخفوا رؤوسهم بياقات معاطفهم فى صراع مرير مع هذه الريح العاتية، وبدت السماء من فوقهم مكفهرة تعكس غضبا لا يقل عن غضب البحر المترامى من وراء الجبل. كان ذلك العام عاما سيئا للسياح الذين أوقعهم حظهم العاثر فى زيارة «كيب تاون» فى ذلك الوقت من السنة. فقد كان الطقس أسوأ كثيرا من المعتاد... وهطلت أمطار الشتاء مبكرا، وظل البحر يصفع بأمواجه الغاضبة وجه ذلك الميناء الجنوب إفريقى فى عنف.

أشاحت «ليزا» ببصرها عن ذلك المنظر الكئيب فى الخارج، وحولت عينيها فى نظرة خاطفة على هاتين السيدتين الجالستين على تلك الأريكة القديمة المغطاة بقماش زهرى النقش... وتساءلت فى قرارة نفسها عن السبب الذى جعل خالتها تزورهم أكثر من مرة عصر ذلك اليوم الذى يفضل أى عاقل أن يبقى فيه حبيسا خلف جدران بيته.

كانت الخالة «مولى انستى» ناظرة المدرسة التى ظلت «ليزا» تعمل

بالتدريس فيها طوال العامين الماضين... لابد أن الخالة «مولى» لم تأت إلا لأجل شئ محدد... شئ توقعته «ليزا» مع أول خطوة خطتها الخالة إلى داخل شقتهم الصغيرة الأنيقة... شئ ارتجفت منه «ليزا» بغريزتها.

فمنذ أن وقعت تلك الحادثة التى غيرت وجه حياتها خلال الفصل الدراسى الثانى تلك السنة. كانت «ليزا» تدرك أنها لابد ستواجه المستقبل مرة أخرى إلا أنها الآن وبعد مرور ثلاثة أشهر، لم تك تملك من الشجاعة والقوة ما يكفى لتفعل ذلك.

تنهدت «ليزا» فى أعماقها واتجهت مستندة إلى عكازها لتجلس على أحد الكراسى فى مواجهة المرأتين، لتراقب حديثهما الخافت فى صمت... ولكنها لم تستطع ما تتبين كلمة واحدة من حديثهما. بدت خالتها أكثر شبابا مما قد تكون عليه امرأة فى أواخر الأربعينيات من عمرها ولم تبد عليها أى بوادر الشيب، بينما أسرع الشيب ينشب مخالبه فى شعر جبهة أمها الأكبر من «مولى» بعامين والتى بدت ممتلئة القوام أكثر من أختها.

رفعت «مولى أنستى» عينيها فالتقت نظراتها بنظرات «ليزا»... ولوهلة خلا وجه «مولى» من أى تعبير، ثم زمت شفتيها بطريقة أدركت «ليزا» معناها جيدا وجعلت الرعشة تسرى فى جميع أوصالها... وضعت الخالة قدح القهوة الفارغ بحذر شديد على الصنية، كما لو كان مصنوعا من الصينى الثمين لا من الخزف المقلد، ثم شبكت أصابع يديها القويتين ووضعتهما فى حجرها... أدركت «ليزا» حينها... أن اللحظة المرعبة قد حانت...

«أريد أن أتحدث معك فى أمر مهم جدا يا ليزا، وأتمنى ألا تظنى أننى أحاول أن أكرهك على شئ لا تودين فعله ولكن...»

قطعت الخالة حديثها بطريقة موحية ثم تبادلت نظرة خاطفة مع أم «ليزا» قبل أن تتابع:

«عزيزتى... إنك تحتاجين فعلا إلى الابتعاد عن هنا لبضعة أشهر على الأقل... أعتقد أن قضاء بعض الوقت فى الريف هو أفضل شئ لك.»

«هل تطلبين منى بطريقة مهذبة جدا، أن أستقيل من عملى فى المدرسة يا خالة؟»

ودت «ليزا» أن تعرف واكتسى صوتها العذب الناعم بنبرة من السخرية التى ولدت من رحم الألم والمعاناة وانجلاء الحقائق أمام عينيها طوال الأشهر الثلاثة الماضية.

«مطلقا يا عزيزتى» أجابتها خالتها فى سلاسة... «لست أطلب منك أن تستقيلى طالما لا تريدين ذلك، ولكننى وأمك ندرك تماما مدى ممانعتك فى العودة إلى المدرسة بعد... بعد...»

«بعد الحادثة» أجابتها ليزا فى هدوء.

«نعم» قالتها مولى وهى تلملم شتات نفسها وأضافت «لماذا لا تبتعدين لفترة يا ليزا؟ سيمنحك ذلك فرصة للتغلب على ذلك الموقف العصيب».

أجابتها ليزا فى اقتضاب:

«لا أستطيع توفير المال لإجازة طويلة ولست أستطيع مجرد التفكير

www.elromancia.com

فى الجلوس خالية دون عمل.»

احتجت عليها مولى قائلة بسرعة:

«لم يقترح أحد أن تبقى دون عمل يا عزيزتى، طبعا لابد أن يكون لديك ما يشغلك.»

وتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى ليزا...

«لا يوجد وظائف كثيرة هذه الأيام حتى فى الريف وأنا...»

قاطعتها خالتها قائلة:

«فى الواقع أعرف شيئا قد يثير اهتمامك» ثم مالت للأمام لتشرح لها... «لدى صديقة قديمة «إيريكا فانديبير» وقد فقدت من وقت قريب أصغر أبنائها وزوجته فى حادث طائرة، ووجدت نفسها الآن مسؤولة عن طفلين صغيرين، ولد وبنت فى الخامسة من عمرهما».

«هل هما توأمان؟» سألتها ليزا وقد بدا عليها الاهتمام الشديد.

«نعم» كان جواب مولى التى أضافت...

«إن ايبريكا تعيش مع ابنها الأكبر«آدم» فى مزرعة الأغنام الخاصة به فى منطقة«بوفورت ويست»، ورغم أنها تحب الأطفال كثيرا إلا أنها بدأت تدرك أنها لا تستطيع أن تتولى أمرهما بمفردها حاليا. وقرر آدم عم الطفلين وولى أمرهما... أنهما يحتاجان للمساعدة... وعندما جاءنى خطاب إيريكا بالأمس طالبة منى أن أرشح لها شخصا ما، قفزت أنت ساعتها فى ذهنى.»

صرخت ليزا فى امتعاض:

«أوه لا، لا... لا أستطيع.»

«ولكنك ماهرة فى التعامل مع الأطفال وستكون فرصة رائعة لقضاء إجازة فى الريف مع كسب بعض المال.» كانت حجة الخالة قوية.

«لكننى مدرسة يا خالة ولست جليست أطفال.»

«لن يستغرق الأمر سوى أسبوعين فقط.»

«أسبوعين؟» سألتها ليزا وقد ملأ عينيها الشك، بينما تململت«مولى» فى مقعدها وقد بدا عليها الارتباك ثم لم تجد مفرا من الاعتراف...

«فى الواقع... ما يزيد على أربعة أشهر... حتى يذهب الطفلان إلى مدرسة داخلية.»

وجاء رد ليزا حاسما:

«مستحيل!»

وقاطعتها أمها لأول مرة قائلة فى هدوء:

«عزيزتى ليزا... أعتقد أنك يجب أن تمنحى نفسك مهلة... للتفكير فى الأمر... على الأقل... تعلمين أنك كنت متخوفة من فكرة العودة إلى المدرسة.»

أردفت مولى فى محاولة لإقناعها:

«تخلى هواء هضاب الكارو المنعش.»

www.elromancia.com

ردت «ليزا» فى حدة وجفاء رافضة الفكرة بكل ذرة فى كيانها،

«صيف تلك الهضاب حار وملئ بالغبار، وفى الشتاء تكون باردة ومليئة بالصقيع. شكرا لك يا خالة مولى. أنا ابنة المدينة ولا يروق لى العيش فى مزرعة بدائية فى هضاب الكارو بالمرة...

«لن يستمر ذلك طويلا يا عزيزتى. لديك عطلة نهاية الأسبوع لتفكرى فى الأمر يا ليزا.» أشارت إليها خالتها بعد فترة من الصمت الطويل المتوتر الذى خيم على الغرفة... «أعلمينى بما توصلت إليه يوم الاثنين.»

عادت بها أفكارها إلى ذلك اليوم حين كانت سيارتها عند الميكانيكى ليجرى لها بعض أعمال الصيانة الدورية، وقبلت أن توصلها أقرب صديقاتها«ساندى دونكان» إلى المدرسة.

كان الطريق شديد الازدحام بشكل غير مسبوق ذلك اليوم، وكانت ليزا وساندى تتناقشان حول خطتهما لقضاء إجازة الشتاء. وقرب موعد زفاف ليزا إلى «روى فيليبس». ولم تلحظ أى منهما تلك السيارة النقل الصغيرة، من طراز السيارات التى توصل الطلبات للمنازل. وهى تكسر الاشارة فى مفترق طرق مزدحم، إلا بعد أن أصبحت تلك السيارة فى مواجهتهما وتماما... ولم يكن ثمة مفر من الاصطدام... لم تدرك شيئا مما حدث!!!.. إلى أن فتحت عينيها فى المستشفى بعد ذلك بساعات عديدة. وأخذت تسأل الممرضات والأطباء فى إلحاح عن مصير صديقتها... إلا أنهم ظلوا يراوغونها... وفى النهاية أخبرتها أمها بأن ساندى قد توفيت فور وقوع الاصطدام.

تضاءلت آلام«ليزا» من جراء الاصابات التى لحقت بها أمام هول صدمة موت«ساندى»... إلا أن تلك الآلام سرعان ما ازدادت حدتها بعدما سمح لروى بزيارتها فى المستشفى... مع ذراعها الموضوعة فى الجبس وصعوبة تنفسها بسبب تكسر أضلاعها والشدة المعلقة إليها ساقاها... أدركت ليزا أن شكلها لا يبدو جيدا بالمرة، ولكن حينما رأت وجه «روى» الواقف خلف سريرها وقد بدا عليه التصلب، أدركت أن إصابات وجهها كانت أسوأ مما صوروه لها. ربما بدا عليه الشفقة بها والتعاطف معها وربما حتى الأسى من أجلها... ولكن مع هذه النظرات المرعبة والمشمئزة فى عينيه، كانت الضربة القاصمة.

وبطريقة أو بأخرى خلعت«خاتمه» من إصبعها المتورم ومدت يدها به إليه فقبله دون أدنى بادرة احتجاج ثم استدار خارجا من العنبر... ومن حياتها كلها.

لم تستطيع ليزا أن تنم فى ليلتها تلك... إذ ظل اقتراح خالتها يقفز الى ذهنها... أن تتولى مسئولية رعاية هذين الطفلين اليتيمين... ولم تستطع التفكير فى أى شئ آخر.

يا له من اقتراح مضحك... لم يرق لها مطلقا أن تعيش فى هضاب الكارو فى مزرعة أغنام نائية.. كما أن رعاية طفلين صغيرين لا يمت بصلة لما تدربت عليه من التعامل مع الأطفال فى عمر الثانية عشرة فى المدرسة.

لقد كانت دائما رشيقة القوام وصغيرة الحجم، ولكنها الآن أصبحت نحيفة بشكل مؤلم وبرزت عظم وجنتيها فى وجهها الشاحب وتكورت

www.elromancia.com

ظلال سوداء قاتمة تحت عينيها الزرقاوين الواسعتين ذات الرموش الذهبية الباهت. كان شعرها بلون الذرة الناضجة وينسدل بطبعه على كتفيها، ولكن منذ تلك الحادثة المشؤومة اعتادت أن تمشطه بحيث ينسدل على وجهها ليخفى ذلك الأثر الموجود عليها... ولكن لم يكن هناك من طريقة لإخفاء أثر ذلك الجرح البارز الطويل الممتد بطول فكها... لقد كان بارزا فى مكانه كما لو كان نذير سوء يقف هناك لإغاظتها دون شفقة وليذكرها بكل ما كانت توحى به نظرة «روى» إليها فى قسوة ورعب.

عند ذلك ترقرقت الدموع فى عينيها وهى تشيح بوجهها عن المرآة وتتحسس طريقها نحو المطبخ فى ظلام دامس حتى فوجئت بأمها تخطو داخلة المطبخ دون أن تصدر أى صوت.

«هل يزعجك أن أصحبك قليلا؟» سألتها سيليا مورو فى هدوء كانت أمها تتحرك فى يسر وسهولة بدون تلك العرجة التى حاولت ليزا دون جدوى أن تتغلب عليها «يجب أن تحاولى نسيان الماضى يا ليزا» قالتها أمها عرضا ولكن فى دهاء... «ليس من الجيد بالنسبة لك أن تتجرعى كل يوم مرارة ما حدث وكما تعلمين فلا يسبب لك ذلك سوى المزيد من الألم والاكتئاب.»

«لا أستطيع أن أمنع نفسى من تذكره، وكلما نظرت فى المرآة تمنيت لو كنت قد مت ساعتها.»

«ليزا!!» صرخت أمها فيما بوجه شاحب وهى تحدق فى ابنتها فى ذعر... «إياك أن تقولى ذلك مرة أخرى!!»

«لكن وجهى...»

«... ملئ بالندوب... أجل...» قاطعتها أمها فى حدة... «إلا أنها والحمد لله لم تشوه وجهك بالقدر الذى تتخيلين.. ويجب أن تحمدى ربك على ذلك.»

«أوه.. يا أماه» قالتها ليزا بصوت متهدج ونظرت إلى أمها بعينين زائغتين يكاد الألم يقفز منها... «لقد رأيت الطريقة التى ينظر بها الناس إلى و...»

«لا تقوليها يا حبيبتى..» أسكتتها أمها فى عجل وبدأت ليزا تشعر بالندم وهى ترى ذلك الخيط من الدموع ينساب من عينى أمها... «بمرور الوقت ومع قليل من العناية والاهتمام ستشفين بطريقة طبيعية مرة أخرى... لقد وعدنى الطبيب. ان هذه الندوب ستتلاشى شيئا فشيئا إلى أن تصبح غير ملحوظة.»

«نعم، أعتقد ذلك.»

«اشربى يا عزيزتى... اشربى...» أخيرا اقترحت أمها... «حان الوقت لنأوى إلى فراشنا»

وفى صباح اليوم التالى، وكانت أمها هى التى فتحت الموضوع عندما جلستا لتناول أقداح الشاى معا فى غرفة المعيشة.

«ليزا، هل فكرت فى العرض الذى اقترحته عليك مولى؟»

ودون أن تشعر بها أخذت يد ليزا تتحسس أثر الجرح من أسفل أذنها

www.elromancia.com

حتى ذقنها،

«لم أتوصل بعد الى قرار نهائى...» قالته ليزا فى احتجاج يائس وهى تتفحص من الفكرة نفسها.

«لا تكونى ساذجة يا حبيبتى.»

«أماه، أوه...»

«امسكى هذه...» ووضعت أمها سماعة الهاتف فى يد ليزا المرتعشة...

«والآن اطلبى رقم مولى... هيا.

«مرت الأيام بسرعة لا تصدق ووجدت ليزا نفسها تودع أمها وتمضى فى طريقها شرقا نح و«بوفورت ويست». تقود سيارتها بنفسها

٢- عالم جديد

لاحت «بوفورت ويست» أمام عينيها بعد ساعتين. بشوارعها التى تصطف أشجار الكمثرى على جانبيها، وحدائقها الغناء وملاعبها المترامية، بدت المدينة وكأنها واحة خضراء فى تلك المنطقة شبه الصحراوية.

دلفت ليزا إلى أحد مكاتب البريد الموجودة بالمنطقة واتصلت بأمها لتطمئنها وتعدها بمراسلتها ما إن تستطيع ذلك، ثم عادت إلى سيارتها لتكمل آخر شوط فى رحلتها.

نفضت ليزا عن نفسها ما كانت تحس به من قلق وترقب، ثم بعد اثنى عشر كيلو مترات رأت اللافتة التى تشير إلى مزرعة «فيرفيو».

«ها هى المزرعة!» صاحت ليزا مخاطبة نفسها، وادارت مقدمة سيارتها الفيات نحو الاتجاه الذى تشير إليه اللافتة، واتخذت طريقها فى حذر شديد حيث كان الدرب ينتهى إلى المنزل الذى بدا شاحبا وعسيرا على الرؤية خلف أشجار اللبان والكافور.

بدا المنزل ذو الطابقين ابعد ما يكون عن صورة المنزل الريفى البدائى الذى تخيلته ليزا، كما لم تكن المرأة التى خرجت لاستقبالها بالشكل الذى

www.elromancia.com

توقعت ليزا أن تكون عليه إيريكا فاندلبير. كانت المرأة فارعة الطول هزيلة البنيان، وقدرت ليزا أنها فى الستين من عمرها، لكن كان هناك شئ ما له سحر خاص فى مظهرها... شئ لم تتوقع ليزا أن تراه فى امرأة عاشت كل حياتها تقريبا فى مزرعة.

هبطت إيريكا فاندلبير السلم مسرعة فى رشاقة.

« يا لله!! يا طفلتى المسكينة!! لابد أنك قد انهكت... ديزى!!» صاحت السيدة وصفقت بيديها فظهرت على الفور امرأة ملونة، وكانها كانت تنتظر نداء سيدتها...

«خذى حقائب الآنسة «مورو» إلى غرفتها وأخبرى «بيتروس» لياخذ سيارتها إلى أحد الجيراجات الخالية.» ثم استدارت وامسكت بذراع ليزا الخالية من العكاز، لتتكئ عليها بطريقة بدت طبيعية تماما... «هيا بنا نبتعد عن تلك الشمس المحرقة».

ودون أن تنتظر ردا، ساقت ليزا إلى الردهة الأمامية الواسعة بأرضياتها ذات الخشب الأصفر اللامع، وصناديقها المصنوعة من الخشب العتيق الذى تفوح منه رائحة الأيام، وحامل القبعات ذى المرآة...

«أظن أنك بحاجة إلى الشاى؟»

«سيكون ذلك شيئا عظيما، شكرا لك.»

وعندما صعدت إلى غرفتها قالت ديزى،

«هل تود السيدة أن أفرغ لها امتعتها؟»

التفتت مبتسمة للممرأة التى وقفت عند حافة السرير وقد خفضت راسها فى توقير واحترام بعد أن وضعت حقائب ليزا.

«لا حاجة لك بذلك... شكرا... شكرا لك.»

أومات ديزى برأسها وألقت ابتسامة خاطفة إلى ليزا...

«عندما تريد السيدة أى شئ فى أى وقت... فما عليها سوى أن تنادينى.»

شكرتها ليزا، فى لهفة لأن تصبح بمفردها قليلا فى الغرفة التى ستظل بها طلية الأشهر القليلة القادمة... وما إن أغلقت ديزى الباب خلفها، حتى أخذت ليزا تتامل المكان من حولها...

تسريحة أنيقة من الطراز الهولندى ودولاب ملابس من نفس الطراز... منضدة صغيرة وأنيقة للكتابة وقد وضع تحتها كرسى خشبى صغير... وكرسى كبير منجد وذو مساند وعليه زخارف جميلة الشكل... سجادة بلون زيتونى تغطى أرضية الحجرة كلها.. وعلى النوافذ ستائر بلون أخضر ليمونى. إن السيدة فاندلبير تنتظرها بالطابق السفلى ليتناولا الشاى معا... لن يكون هناك وقت أمامها سوى للاغتسال بسرعة وتغيير ملابسها لتلحق بالسيدة...

أحست ليزا بشئ من الانتعاش وهى تخطو نازلة الدرج ثم توقفت برهة والتفتت يمينا ويسارا لا تدرى فى أى اتجاه تذهب ثم لمحت عيناها بابا مفتوحا عبر الصالة فى مواجهتها تماما وكانه يدعوها للدخول فتوجهت ناحيته على الفور... ايريكا فاندلبير جالسة على أريكة من

www.elromancia.com

الخشب العتيق وعليها وسائد بلون بنفسجي ضارب للحمرة وعلى الطاولة الصغيرة الموضوعة أمامها صينية شاى فى انتظارها. أشارت إيريكا إلى ليزا لتجلس بجانبها وما إن فعلت حتى صبت لها قدحا من الشاى...

«لابد أنك قد أنهكت تماما بعد رحلتك الطويلة...» قالتها ايريكا وهى تناول ليزا قطعة من الجاتوه...

«نعم.. أشعر ببعض الخشونة فى جسدى كله..» قالتها ليزا وتناولت قطعة أخرى من الحلوى.. «توقفت على الطريق مرات عديدة.. مرة لاتناول الشاى أو لتناول الغداء... وقد ساعدنى ذلك على إراحة ساقى لدقائق قبل استكمال الرحلة.»

وسألتها السيدة فاندلير بصوتها الدافئ المهذب:

«أخبرينى... كيف حال عزيزتى مولى؟»

«كما هى... تحاول دائما أن تسير حياة الآخرين بألطف الطرق وأطيبها...»

وابتسمت ليزا ابتسامة خافتة..«بالمناسبة... هى تبعث إليك بتحياتها.»

«لا زالت أذكر عندما كانت فى الجامعة مع ابنة أختى بيجى...» وأخذت السيدة فاندلير تتذكر... «كانت مولى وبيجى تقضيان إجازتهما الصيفية أحيانا هنا فى المزرعة... معنا... وكانت مولى

انسانة مرحة ولطيفة للغاية... نعم كما أتذكر. وبعد أن تخرجت من الجامعة تزوجت«لوك انستى» وكان طياراً... لقد مات بطريقة مأساوية بعد الزواج بسنوات قليلة.» وامتلأت عينا ايريكا بالدموع... ربما بما أثارته الذكرى ف نفسها من أحزان... وربما بسبب مصيبتها الخاصة... «لا زلت أتعجب لماذا لم تتزوج مولى مرة أخرى.»

«تعتقد خالتى مولى أن تلك السنوات الخمس التى قضيتها مع زوجها قبل موته، هى أجل خمس سنوات يمكن لامرأة أن تحلم بها. وتعتقد أنه ما من رجل فى العالم يستطيع أن يحل محل الرجل الذى جعل هذه السنوات كذلك.»

«يا خسارة...» قالتها إيريكا وكأنما تحدث نفسها..«الموت يخطف أعز أحبائنا ويتركنا من بعدهم فى حال يرثى لها»

«انا آسفة» غمغمت ليزا وذكرياتها تعود بها إلى ذلك اليوم المشؤوم حينما كانت فى السيارة مع صديقتها ساندى التى كانت تثرثر وتضحك وتتكلم بفرح وسرور عن الإجازة القادمة... وفجأة اختطفها الموت بعدها بدقائق قليلة.

وامتلأت جبهة ليزا بالعرق مع هذه الذكرى الحزينة وحاولت جاهدة أن تخرج نفسها من هذه الذكريات...

«أين الأطفال؟»

«جوش وكيت؟»

لابد انهما هنا أو هناك... فى مكان من المنزل. لقد صارا عنيفين قليلا

www.elromancia.com

فى الشهور القلية الماضية. أجد نفسى عاجزة عن التعامل معهما. كما أن آدم... آدم ابنى... لا يجيد التعاما مع الأطفال. إنه فى الثامنة والثلاثين ولا يزال «عزبا.» وهو لا يطيق أن يفسد عليه حياته المنتظمة طفلان يمتلأن حيوية ونشاطا... لكنه مغرم بهما بطريقته الخاصة... انا أومن بذلك.»

والتفتت عينا ليزا بعينى السيدة العجوز فتصلبت نظراتها وتحركت أصابعها نحو ذلك القطع الموجود على جانب فكها... لكنها لم ترى اى نفور فى هاتين العينين الخضراوين.

«عندى علم بتلك الحادثة المشؤومة التى وقعت لك»، قالتها ريريكا فاندلبير بدفء وعذوبة لمستا أعماق أعماق ليزا وجعلتها تحس براحة كبيرة...

«لم أخبر أحدا بها، ولا حتى آدم، ولن يذكر الموضوع مطلقا... إلا إذا رغبت انت فى ذلك. نحن نريد أن نساعدك، يا ليزا». قالتها ونطقت اسم ليزا بطريقة بدت طبيعية وحميمة...

«وأتمنى لو استطعنا مساعدتك على استعادة حياتك كما كانت سابقا» اغرورقت عينا ليزا بالدموع وأشاحت بعينيها بسرعة بعيدا عن السيدة العجوز.

«أنت طيبة للغاية يا سيدة فاندلبير.»

وران عليهما صمت لم يقطعه سوى ثرثرة الأطفال وصياحهما العابث... وظهر أمام ناظريها كائنان صغيران مهلهلا الملابس وقد لطخا بالطين يتقافزان حتى دخلا الغرفة وما إن رأيا ليزا حتى تسمرا فى

مكانيهما.

صاحت فيهما ايريكا فاندلبير فى ذعر... «اياكم أن تقتربوا أكثر من ذلك...» حذرتهما بسرعة... «ستلطخان السجادة! اصعدا فوق ونظفا نفسيكما قليلا قبل أن تنزلا لأقدمكما بالطريقة المناسبة للآنسة مورو...»

غمغم عفريت منهما،

«أوه يا جدتى... لماذا لا تقد... لا تقد... لماذا لا نستطيع الآن؟»

أجابتهما جدتهما بلهجة حازمة،

«لأنكما قذرين جدا فى هذه اللحظة ولا أستطيع أن أعرف أحدكما من الآخر... هيا اصعدا الآن فورا ونفذا ما أقوله.»

وأطاعها الطفلان على مضض وانصرفا.

وبعد دقائق عاد الطفلان إلى غرفة المعيشة وقد بدا وجهيهما نظيفين إلى حد ما.

أشارت إليهما الجدة بالدخول فدخلا بخطوات وئيدة يحملقان فى ليزا ويفحصانها من أعلاها إلى أسفلها...

«ليزا، أحب أن أعرفك بحفيدى..» قالت ايريكا مبتسمة... «جوش وكيت، هذه هى الآنسة مورو التى أخبرتكما عنها.»

واجه الطفلان ليزا ببشرتها البنية من أثر الشمس وبنيانهما القوى... وزاد توتر ليزا مع النظرات الفاحصة التى أخذ الطفلان يقذفانها بها متأملين تجاعيد وجهها وآثار الجروح به. كانت تنتظر الشئ الذى كانت

www.elromancia.com

تخشاه كثيرا... لكن لم يبد على وجهى الطفلين سوى الفضول الطفولى وأحست عندها ليزا براحة كبيرة خففت عنها وطأة الموقف...

«هل أنت ستعتنين بنا؟» سألها جوش بينما ظلت أخته تنظر إلى الأرض فى خجل.

«نعم... لو سمحت لى.»

«هل تستطيعين أن تلعبى لعبة النطاط؟»

أدركت ليزا أن السؤال له أهميته فرفعت عينيها لتلتقى بعينى الطفل الصغير ونظراته الثابتة وأجابته:

«نعم... أعتقد ذلك.»

«اذا... سيكون كل شئ على ما يرام.» أجابها جوش وبدا وكأن المشكلة قد حلت بالنسبة له.

التفتت السيدة فاندلبير إلى ليزا قائلة:

«اذا كنت تريدين أن تصعدى إلى غرفتك لبعض شؤونك... فتصرفى وكأنك فى بيتك.» وتابعت قائلة: «غرفة الأطفال مجاورة لغرفتك وسأكون ممتنة لك لو ألقيت عليهما نظرة لتتأكدى أنهما سيأخذان حمامهما فى الخامسة ثم يرتديان البيجامات قبل أن ينزلا إلى المطبخ لتناول العشاء. هما يتناولان بقية الوجبات معنا فى غرفة الطعام.. لكن آدم نادرا ما يتناول عشاءه قبل السابعة مساءا وحينها يكون الأطفال قلقين ومتعبين.» وتوقفت برهة قبل أن تضيف:

«طبعا ستتناولين كل وجباتك معنا فى غرفة الطعام.»

أسرعت ليزا تقول: «لكنى لا أمانع أبدا فى تناول العشاء مع الأطفال.»

لسبب لا تعرفه كان اللقاء المرتقب مع آدم فاندلبير يزعجها كثيرا. وبرغم حرارة استقبال ايريكا فاندلبير لها وحديثها معها، فإن صاحب العمل الذى ستعمل لديه لن يكون ايريكا بل آدم نفسه وكان لديها إحساس بأنه شخص من الصعب إرضاءه.

وساد الصمت بينهم لبرهة وكأن الطفلين قد أطلقا لخيالها العنان ليخيلا الحادثة التى حرمتهما كلاهما من والديهما، ثم جلست كيت إلى جوار ليزا ولمست خدها فى خجل وأصابعها الصغيرة تستكشف ذلك الأثر الغائر على وجنتها. وأحست ليزا بتوتر شديد وهى تحملق فى الطفلة الجالسة إلى جوارها... لكنها لم تبعدها عنها.

«أنت جميلة جدا» قالت كيت أخيرا، وأزالت هذه المجاملة الرقيقة من طفلة لا تكاد ليزا تعرفها بعضا مما كان بنفسها من مرارة طلية الأشهر الماضية.

«شكرا لك يا كيت.» قالت ليزا بصوت مضطرب وهى تضم الطفلة اليها فى حرارة.

«هل آلمتك الحادثة كثيرا؟» أراد جوش أن يعرف وأشار إلى القطع على وجنتها.

أجابته قائلة:

«آذتنى قليلا... نعم.»

www.elromancia.com

«هل انت مدرسة؟»

سالها جوش مغيرا موضوع الحديث وكان مظهرها وشكلها لم يعد يعنيه.

«أجل.»

قالت كيت وقد بدا عليها الاهتمام،

«سنذهب إلى المدرسة السنة القادمة.»

ابتسمت ليزا وأجابتها،

«نعم أعتقد ذلك.»

«هل المدرسون دائما غاضبون؟» سالتها كيت وقد بدا التوتر فى عينيها.

«ليس دائما»

«عمو آدم دائما غاضب رغم انه ليس مدرسا.» قالها جوش بنبرة احتجاج فتذكرت ليزا فجأة ما قالته لها ايريكا فاندلبير، «لحسن الحظ فالأطفال يهابون عمهم... فقط يهابونه... ليس إلا.»

«ليس إلا.» أكيد هناك صلة ما تربط بين الأطفال وعمهم فهم أولا أخيه الراحل، بالقطع من الجيد أن يحترم الأطفال عمهم وولى أمرهم... لكن ليس ذلك كافيا. فالأطفال بحاجة لمن يحبهم ويحبونه.

«ربما لأن عمكما مشغول ولديه أمور أخرى تشغل باله» قالتها ليزا وكأنما تقدم الأعذار نيابة عن رجل لم تره فى حياتها، وبدأت تتكون له

فى مخيلتها صورة الرجل الصارم المخيف.

«هل تعتقدين ذلك؟» سالها جوش بنبرة من الشك والتحدى تظهر فى ملامحه الصغيرة.

«انا فقط أخمن» بادرته ليزا وأضافت«لم ألتق بعمك بعد.»

«سوف ترينه غدا!!»

قالها جوش وقد بدأ بصيص الأمل يخفت عينيه.

«نعم... غدا!» غمغمت ليزا بصوت مضطرب.

كتمت ليزا تنهيدة كادت تخرج منها، وأطفأت النور وغادرت غرفة الطفلين.

www.elromancia.com

٣- الشرط المستحيل

استيقظت ليزا صباح اليوم التالى على نباح كلب يقف تحت نافذتها ولبرهة ظلت تدير عينيها فى المكان من حولها غير مدركة أن هى الآن. كان شيئا جديدا عليها أن يوقظها نباح كلب وثغاء الأغنام بدلا من هدير السيارات الذى اعتادته فى المدينة وظلت مستلقية فى مكانها لفترة لتتذكر البيئة المحيطة بها إلى أن خطر ببالها اللقاء الذى يوشك أن يتم مع آدم فاندلبير فهرولت من رقدتها على عجل.

فتحت ليزا النافذة على مصراعيها أمام هواء الصباح وتوقفت هنيهة تتأمل الحديقة التى غطاها الندى الذى تلألأت قطراته تحت أشعة الشمس التى أخذت فى الشروق فى تؤدة ودلال لكن... لاوقت للتكؤ أما النافذة والاستمتاع ببهاء المشهد.

كان جوش وكيت قد ارتديا ملابسهما واستعدا لمصاحبتها عندما دلفت غرفتهما بعد ذلك ببضع دقائق.. ونزل الثلاثة معا باتجاه غرفة الطعام وليزا تحس بحواسها متوثبة لذلك اللقاء الذى طالما توجست منه... لكن لم يكن فى غرفة الطعام سوى ايريكا فاندلبير... وحدها.

«إن آدم خرج مبكرا هذا الصباح» بادرتها ايريكا عندما رأت تلك النظرات القلقة التى تفحصت بها ليزا الغرفة بمنضدتها الخشبية الطويلة

ودولاب الأوانى الطويل الموجود بها... «سيراك بمجرد أن يعود»

بعد الفطور صعدت ليزا بالأطفال إلى غرفتها وأبقتهما مشغولين باللعب بقطع الصلصال، بينما انشغلت هى بقراءة إحدى الجرائد المحلية، ولكن ما إن قرأت صفحة أو اثنين حتى وجدت ديزى تطرق الباب وتدخل الغرفة قائلة...

«السيد آدم يريد أن يرى السيدة فى مكتبه.»

تبادل الطفلان نظرة فيما بينهما زادت من توتر ليزا.

أشارت ليزا إلى الطفلين باستكمال لعبهما وتبعت ديزى إلى الصالة. قادتها ديزى إلى ممر خارج الصالة ثم إلى غرفة اصطفت بها كتب كثيرة على أرفف معلقة على الحوائط.

قطع عليها سكونها صوت دبيب الأقدام فى الردهة من خلفها فالتفتت فى سرعة وعجل ناحية الباب.

كانت جثة ضخمة لرجل تملأ فراغ الباب كان ذلك آدم فاندلبير بطول قارب المترين لكن رغم حجمه الهائل فقد لاحظت حركاته رشيقة حينما خطا ناحية المكتب ليقف فى الجهة المقابلة لها...

«اعتذر لجعلك تنتظرين، يا آنسة مورو،» قالها بصوت عميق، تفضلى بالجلوس.»

أطاعته ليزا فى خضوع وعلقت عكازها فى مسند الكرسى الذى جلست عليه، وأدركت لأول مرة أن ساقها كانت ترتعش. وانتظرت فى سكون وتوتر بينما جلس هو فى مقعده الهزاز وراح يبحث عن علبة

www.elromancia.com

السجائر.

«هل تمانعين لو أشعلت سيجارة؟»

أومأت ليزا برأسها نفيا وانتهزت الفرصة لترقب وجهه وملامحه عن كثب وهو يخرج سيجارة ويشعلها...

كان شعره قصيرا مجعد وقد وخط الشيب فوديه.. وصبغت الشمس بشرته بلون بنى غامق. لم يكن آدم مثل أخيه جاك... كان أشعث الهيئة وغير وسيم بالمرة. لاحظت ليزا ذلك بنظراتها القلقة التى انزلقت من على شعره إلى جبهته العريضة وأنفه عريض الأرنبة والذى تبدو عليها آثار تعرضه للكسر من قبل، وذلك الفك القوى البارز وذقنه ذات الأخدود الصغير. كانت تبدو على وجهه علامات قوة الشخصية إلا أن فمه الواسع كان يوحى بطيبة توارت خلف هيئته الرثة ومظهره الصارم.

كان آدم رجلا مزارعا نمطيا، استخلصت ليزا ذلك وأخفضت عينيها فى شعور بالذنب عندما لمحها آدم تحدق فى وجهه.

«أعتقد أنك مدرسة...» قالها آدم وعيناه تضيقان وهو يرقبها من خلف ستار كثيف من الدخان.

«نعم... أنا مدرسة.»

«ما الذى دفعك للاستقالة من وظيفتك؟» سألها ونظراته تكاد تخترقها مما جعلها ترتبك وتجيبه بصوت مضطرب...

«أنا لم... لم... أس... أستقيل من الوظيفة... فى الواقع... أخذت إجازة... لبضعة أشهر.»

«والسبب؟!» ألقى السؤال فى وجهها وكأنه يستجوبها..

«لقد... تعرضت لحادثة.»

وأحست ليزا أن عينيه تتحسسان ذلك القطع الغائر فوق جانب فكها فتصلبت عضلاتها تلقائيا... ولكن بعد تلك النظرة القصيرة الفاحصة التقت عيناها بعينيه الخاليتين من أى تعبير...

«هل كانت حادثة سيارة؟»

«نعم.»

«واضح أنك قد استعدت الكثير من عافيتك بعد هذه ال... حادثة»، تابع قائلا وقد أثارت وقفته أثناء الكلام كل حواسها...

«لا أستطيع أن أفهم لماذا لم تستطيعى العودة إلى عملك الذى تدربتى عليه.»

«كانت.. كانت هناك أسباب أخرى»، اجابته ليزا بصوت مضطرب وهى ترفع وجهها ناحيته فى شئ من التحدى، ولكن عندما رأته يحدق فى وجهها كما لو كان ينتظر منها تفسيرا أضافت فجأة وعلى نحو قاطع... «أسباب شخصية.»

ارتفع حاجبا آدم فاندلبير قليلا كما لو كان قد ازعجه رفضها تفسير الأمر، ثم اطفأ سيجارته ونهض واقفا على قدميه معلقا يديه فى حزام سرواله وهو يقول:

«أعتقد أن أمى أعطتك فكرة عما نتوقعه منك، ولكن هناك عدة

www.elromancia.com

أشياء أود أن أضيفها»، قالها بلهجة جافة وهو يتجه نحو النافذة ويحدق منها إلى الحديقة، مما أتاح الفرصة لليزا لتتأمل قامته الضخمة وبنيانه القوى و...

«أبقى الطفلين بعيدين عن منطقة الرعى ولا تسمحى لهما مطلقا باللعب بالآلات الزراعية. الحظيرة والاسطبلات محرمة عليهم وفوق كل هذا وذاك...» وتوقف ليواجهها ويقذفها بنظرات نارية من عينيه السوداوين... «ابعديهما عن طريقى... مفهوم؟»

«مفهوم يا سيد فاندلبير.» أجابته ليزا بلهجة متوترة.«والآن بخصوص مرتبك..»ذكر لها لامبلغا يعادل ضعف ما ذكرته والدته فافلتت منها آهة دهشة ظنها استنكارا فسألها فى جمود:

«ماذا؟ هل المبلغ غير كاف؟»

«أبدا... أبدا... انه اكبر كثيرا مما كنت أتوقع.» بادرت ليزا لتصحح ظنه وهى تنكمش تحت تأثير هاتين العينين النفاذتين اللتين لا يكاد يفوتهما شئ.

«أنا على استعداد تام لدفع هذا المبلغ، بل أكثر منه، بشرط أن أستعيد شيئا من النظام الذى كان عليه بيتى يوما ما، يا آنسة مورو.» كان صوته عميقا وخشنا وارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة عندما لاحظ نظرات الدهشة فى عينيها...

«هل يدهشك ذلك؟»

«إنهما ابنى أخيك الراحل!!»

«بالضبط.».. وأقبل يقف أمامها مباشرة فاضطرت لرفع رأسها بطريقة مؤلمة لتستطيع النظر اليه فتابع قائلا...

«لقد ألقى القدر فى طريقى وجعلنى مسؤلا عنهما، وما على سوى أن أستفيد من الموقف بأفضل ما يمكن.»

«يهمك أن يكونا سعداء... أليس كذلك؟» واجهته بالسؤال فى نبرة متحدية لكن يديها قبضت على ذراعى الكرسى الذى كانت تجلس عليه بعنف جعل أصابعها تؤلمها.

«شئ طبيعى،» وأفلتت من شفتيه ابتسامة لم تفلح فى الوصول إلى عينيه الجامدتين... «سأوفر لهما أى شئ يحتاجانه، فقط طالما لا يفسدان على كيانى وحياتى المرتبة التى صنعتها لنفسى.»

«هكذا إذا!!» قالتها ليزا بصوت واهن وامتلأت أعماقها بحنق هائل على أنانية ذلك الرجل وجموده. لم تكن هناك ذرة من العطف أو الشفقة فى هذا الجسد الضخم الذى يمتلكه آدم تجاه هذين الطفلين اللذين شاءت لهما أقدارهما أن يكونا فى رعايته.. وقفز إلى ذهنها فجأة ذلك التعبير الحزين الذى اكتست به ملامح جوش وكيت وهما يتحدثان عن عمهما... الآن تستطيع أن تفهم لماذا ارتسم ذلك الحزن على وجهيهما...

«لا أعتقد أن لدينا ما نناقشه بعد يا آنسة،» قالها آدم وكأنه يأمرها بالانصراف فنهضت ليزا من مقعدها فى عجلة للابتعاد عن هذا الرجل المزعج. «لحظة من فضلك يا آنسة، هل أصيب كاحلك؟»

«لا.. إنها... إنها إصابة فى الفخذ من جراء الحادثة.»

www.elromancia.com

وجدت ليزا هاتين العينين القاسيتين تفحصانها من رأسها إلى قدميها.

«آه... ذلك يغير الموقف تماما.»

«هل تقصد فيما يتعلق وظيفتى؟»

«نعم أعنى ذلك.»

لا تذكر ليزا أن احدا قد أثار غضبها من قبل لهذه الدرجة كما فعل آدم الآن، ولمعت عيناها فى برود وهى تلتقى بعينيه...

«ليس معنى أننى مصابة بإعاقة بدنية طفيفة، اننى غير مؤهلة ذهنيا... يا سيد... فاندلبير.»

زم آدم شفتيه على نحو ملحوظ... «لست اناقش قدراتك العقلية يا آنسة مورو، لكننى أشك فى قدرتك البدنية على التعامل مع الطفلين. فهما أشقياء للغاية.»

«ساتدبر ذلك.» أجابته باقتضاب.

«أشك كثيرا فى ذلك.»

«على الأقل يجب أن تعطينى الفرصة لأثبت نفسى»، قالتها ليزا بمرارة وألم انعكسا فى نظراتها التى واجهت بها نظرات آدم فى تحد وعناد.

«أنوى منحك تلك الفرصة» اخيرا نطقها آدم فاندلبير.

«أمامك شهر يا آنسة مورو» قالها بلهجة محذرة وهو ينحنى تجاه قامتها الضئيلة فبدا لعينيها مثل عمالقة الأساطير فانكمشت من منظره...

«لو، فى نهاية ذلك الشهر، وجدت أن الضغط البدنى قد زاد عليك، أو... لم اقتنع بالطريقة التى تعاملين بها الأطفال... فلن أتردد فى استبدلك.»

«شكرا لك» تمتمت ليزا وقد سرت فى أوصالها رعشة من الخوف.

«لا تشكرينى يا آنسة مورو» قالها بنبرة ساخرة.«فبعد شهر ربما ستتمنين لو لم تتلهفى هكذا على اثبات ذاتك.»

ثم أشار لها فجأة... «يمكنك الذهاب الآن.»

امتلأت عينا ليزا بدموع الألم والمرارة وامتدت يدها تتحسس مقبض الباب وكأنها لا تراه وأدارته وأسرعت بالخروج من المكتب.

لاحظت ليزا أن جوش وكيت يرقبانها وقد علت الدهشة ملامحها.

«يبدو شكلك حزينا... كما أنك تبكين،» قالتها كيت وقد بدا على وجهها الفضول،فأسرعت يدى ليزا تحسس وجنتيها لتجدهما متبلتان وساخنتان.

«أحيانا أتصرف بغباء،» قالتها ليزا وافتعلت ضحكة وهى تمسح بأناملها آثار دموعها وتحاول أن تتماسك قليلا أمام الأطفال.

«نحن لم نعد نبكى لأن جدتنا أخبرتنا أن ماما وبابا الآن فى الجنة مع

www.elromancia.com

الملائكة وأننا سنراهم فى يوم من الأيام.»

«صحيح.. صحيح جدا، قالتها ليزا ردا على ما قاله جوش وبصدق مماثل، ثم انتشلت نفسها من تلك الذكريات الحزينة وابتسمت إليهما وأمسكت بيديها قائلة» هيا بنا... لنخرج معا من هنا لترياني الحديقة.»

فرح الطفلان كثيرا لأنهما سيكونان دليلها، لكن بالنسبة لطفلين صغيرين مثلهما وهما يتقافزان فى الحديقة وليزا لا تستطيع مجاراتهما.

لم تكن ليزا تتخيل مطلقا أن توجد مثل هذه الجنة اليانعة الخضرة وسط ذلك المكان المجدب القفر، ولكنها وهى تلمس بتلات زهور الكاموميل القرمزية بأطراف اناملها، ابتسمت فى سخرية من مدى جهلها بما قد يوجد فى هذه الدنيا الواسعة.

كان ذلك عالما لم تراه من قبل طيلة حياتها، عالم بعيد بل أبعد ما يكون عن حياة المدينة بصخبها وضجيجها وادخنة السيارات التى تشق قلبها كل لحظة.

أعدت ايريكا فاندلبير الشاى فى الفيرانده ذلك الصباح، وشرع الطفلان يلتهمان الكثير من الشطائر اللذيذة قبل أن ينصرفا فى مرح ليستانفا لهوهما فى الحديقة. وهبت ليزا لتلحق بهما إلا أن ايريكا أومأت إليها بالجلوس فى مقعدها..

«لن يذهبا بعيدا... خصوصا طالما لا تزال هناك شطائر لذيذة» طمأنتها ايريكا مبتسمت فاسترخت ليزا فى مقعدها لتجد هاتين العينين الرماديتين ترقبانها فى تساؤل.

«هل قابلك آدم هذا الصباح؟»

بدا التوتر على ليزا وهى تتذكر لقاءها ذلك الصباح مع ابن السيدة...

«السيد فاندلبير تكلم معى هذا الصباح... نعم.»

«أصبح مشغولا للغاية منذ أن توفى ولدى جاك لدرجة انه لا يجد الوقت للاسترخاء والراحة. ليس من الغريب ألا أراه طوال اليوم إلا على العشاء هذه الأيام.» تنهدت ايريكا وهزت رأسها فى أسى...

«يعلم الله أن هذه المزرعة لا يقدر عليها رجلان، ولكن مع عبء مسؤولية جاك التى أضيفت إلى عاتقه، أصبحت مهمته شبه مستحيلة.»

تساءلت ليزا فى تردد:

«أليس من الأفضل تعيين مدير للمزرعة الأخرى؟»

أجابتها السيدة العجوز:

«ليس من السهل العثور على مدير كفؤ هذه الأيام... لكن آدم كان قد تحدث عن امكانية تعيين شخص ما نهاية هذا الشهر، ولا أستطيع أن أصف لك مدى الارتياح الذى سيجعله ذلك إلى نفسى.»

«هل المزرعتان متجاورتان؟»

هزت ايريكا رأسها نفيا:

«لسوء الحظ، لا. تقع مزرعة آل جاكسون بين «فيرفيو» و«ويفرلى». وقد ساعد السيد جاكسون وابنته «ويللا» آدم كثيرا، لكن لا يمكن أن

www.elromancia.com

تستمر الأمور على هذا النحو للأبد. صحيح أن آدم قوى وصحيح البنية، لكن لكل طاقته، ومع مساعدة «ويللا» له على هذا النحو فإننى أخشى...»

توقفت ايريكا وقطبت حاجبيها ثم، عندما لاحظت أن ليزا تتطلع إليها فى فضول أشاحت بيدها قائلة...

«على كل حال... لا يهم. لقد بدأت أتكلم بحماقة.»

ساد بينهما صمت غريب لوهلة، وتساءلت ليزا ما الذى يمكن أن تخشاه ايريكا فاندلير بالضبط. هل كانت تخشى أنه مع مساعدة ويللا جاكسون لآدم فى المزرعة ووقوفها إلى جواره أن يقع فى هواها ويتزوجان فى نهاية المطاف؟ أكيد فإن فتاة لها مثل تلك الخبرة باعمال الزراعة ستكون زوجة مثالية لمزارع مثل آدم؟ أم هل هناك شئ آخر غير ذلك هو الذى يخيف ايريكا، شئ ربما لا تدركه ليزا؟

انقطع حبل الصمت بينهما مع وقع أقدام جوش وكيت وهما ينقافزان صعودا إلى حيث تجلس المرأتان ليأتيا على ما تبقى من الشطائر، ووجدتها ليزا فرصة سانحة لتستأذن من السيدة العجوز لترافق الطفلين. ابتعدت مع الأطفال قليلا عن المنزل عند لمحت وميضا فالتفتت ناحية مصدره لتفاجأ بوجود حمام حديث للسباحة يقع وسط سور من الأشجار الطويلة الوافرة الظلال. كانت مياه الحمام تتلألأ تحت أشعة الشمس، ثم خالجتها مشاعر الفرح فسألت الأطفال من فورها:

«هل يستطيع كلا كما السباحة؟»

«نعم،» أجابتها الطفلان بحماس بالغ...«لكن عمو آدم يقول أن الماء لا

يزال باردا جدا علينا فلا نستطيع أن نسبح فيه.»

أومأت ليزا برأسها فى تفكير عميق...

«أتوقع ذلك...» ثم أضافت، صحيح أن الجو يزيد دفئا هذه الأيام بالنهار، لكن لن تستطيعا السباحة فى الحمام لمدة شهر أو شهرين آخرين.»

«أوه! انظرى!» صاح بها جوش وكيت فى صوت واحد وقد بدا عليهما الارتفعال الشديد... واشار إلى معسكر للرعى فيما وراء الحمام...

«ها هى الخراف الصغيرة هناك!!»

«أبقى الأطفال بعيدين عن معسكرات الرعى» جلجلت عبارة آدم فاندلير فى أذنيها حينما اندفع الأطفال نحو سور المعسكرات ليشاهدوا حملان المارينو ذات الصوف الكثيف وقد استلقت فى دعة تحت أشعة الشمس الدافئة، بينما أخذت الإناث ترعى فيما تبقى من حشائش وخضرة فى المكان.

ترددت ليزا للحظة قبل أن تلحق بالأطفال. بالتأكيد لن يتعرض عمهما اذا ما بقيا فى هذا الجانب من السور... قررت ليزا ذلك بثبات ورات، بينما هى تقف إلى جوارهما حملاً رضيعاً يتجه إليهما. مد جوش وكيت أذرعهما من خلال السور. اخذا يشيران إليه ويشجعانه على الاقتراب منهما اكثر واكثر..

أمسكت كيت برداء ليزا. وغمزتها قائلة:

«أليس جميلا يا آنسة... يا آنسة...»

«نادتنى ليزا فقط.»

«أليس ذلك الحمل جميلا يا... ليزا؟» أعادت كيت عليها السؤال فى استحياء أن تنطق اسمها مجردا هكذا دون ألقاب.

بادرتها ليزا قائلة: «جميل... صوفه ناعم وملمسه حريرى!!»

«هيه... ها هو عمى آدم قادم هنالك!» صرخ جوش وقد بدا القلق فى صوته، فالتفتت ليزا بحركة حادة ورأت آدم فاندلبير على حصانه يقطع المرج.

تقلصت عضلات جسمها رغما عنها حينما أقرب ممسكا بلجام فرسه من جانب السور حيث كانت تقف ألقى على ليزا نظرة سطحية من عينيه السوداوين المخفيتان تحت حافة قبعته... لكنها كانت على يقين بأنه قد قلب عينيه فى هذه النظرة السريعة فى كل ذرة فى كيانها... من أم رأسها حتى اخمص قدميها.

توقف آدم أمامها تماما وسادت بوهة من الصمت الرهيب بينهم وهم فى انتظاره ليبدأ بالحديث.. وعندما تكلم خاطب ليزا بصوته العميق المجلجل قائلا:

«معسكرات الرعى خارج حدودكم... كما تعلمين يا آنسة مورو... لذا أعتقد أنكما هنا لأن الأطفال أحبوا أن يأخذوك فى جولة حول المكان.»

«نعم... عمو آدم.» بادر جوش بها قبل أن تفكر ليزا فى الرد، ثم أضافت بعد برهة من التفكير:

«عمو آدم... هل تستطيع أن نحمل هذا الحمل الرضيع فى أيدينا؟... لبضع دقائق؟»

تجمدت الدماء فى عروق ليزا حينما سمعت ذلك وأسرعت تختلس النظر إلى وجه آدم فاندلبير لترى التعبيرات التى ترتسم عليه. وللحظة بدا أنه سيسبهم جميعا ولكن يا الله.. لقد انفرجت أساريره وأسرع يختطف الحمل ثم يضعه بلطف وهدوء فى ذراعى جوش الصغيرتين. وتبادل الصغيران حمل الحيوان الرضيع وملاطفته ومداعبته.

ولمس الرجل قبعته ليعدل وضعها فوق رأسه ثم انطلق بجواده يرجان الأرض رجا.

٤ - المأزق

www.elromancia.com

«عادتنا هنا، فى المزرعة أن ناوى إلى الفراش لساعة على الأقل بعد تناول الغداء.»

قالت إيريكا فاندلبير مخاطبة ليزا وهما تنهضان من على منضدة الغداء...

«... فى الصيف، عندما تطول الأيام وتشتد حرارتها، ستفهمين تلك العادة.»

لم تجادل ليزا وصعدت بالصغيرين إلى غرفتيهما... وعندما أغلقت خلفها باب غرفتها بعد دقائق من ذلك، استلقت على السرير وهى تحس بالامتنان أن أتيحت لها فرصة تخفيف الحمل من على قدمها قليلا.

طوال فترة العصر لم يرحم الطفلان ليزا وظلا يشركانها معهما العابهما العنيفة والعابثة التى أنهكتها، ولكنها أحست بأنها تستمتع بكل لحظة معهما. ولأول مرة منذ شهور وجدت ليزا نفسها تضحك من كل قلبها ساخرة من قلة حيلتها أمامهم وهم يلعبون «الاستغماية»، إذ كانا يعدوان كالأرانب كلما اقتربت من الأماكن التى كانوا يختبئون فيها ومن ثم... ظلت معظم الوقت تجرى وراءهم وتبحث عنهم وهم يختبؤن فى المنطقة التى حدودها للعب.ربما كان آدم فاندلبير محقا تماما عندما شكك فى قدرتها البدنية على التعامل معهما... ولكن وإن يكن... لقد استمتعت بكل لحظة مع جوش وكيت حتى إنها لا تكاد تطيق صبرا

حتى ينبلج فجر اليوم التالى وتواصل اللهو والمرح معهما. ربما، مع مرور الوقت، تخف عرجتها وتزول ولكن... هل تستطيع الأيام أن تمحو تلك الجروح العميقة التى لا تزال تعلق بنفسها؟؟

أحدثت نظرات الرعب فى عينى«روى» فى نفسها شروخا لن تلتئم... لقد مزق روحها وطعنها فى مشاعرها بقسوة ووحشية... وكان فى قبوله الصامت لخاتم الخطوبة التى نزعته من إصبعها وناولته إياه، ما قتل لديها كل أمل بأن ذلك ما هو إلا ردة فعل لصدمة الحادث ووقعة عليه. لقد أسرع حينها يغادر ذلك العنبر بروائحه التى تزكم الأنوف... ورافبته وهو يجرى، دون أن تنحدر من عينيها دمعة أو يهتز لها جفن وكأنما تحجرت مشاعرها جراء هذه الوحشية التى لم تك تعتقد أن مثلها قد يوجد على هذه الأرض.

لم يكن آدم فاندلبير على العشاء هذا المساء أيضا. استخلصت ليزا من كلام أمه أن غيابه يتعلق بتطعيم الخراف الذى سيبدأ صباح الغد. كما استخلصت أن غيابه له صلة أيضا بما قيل عن هروب ثلاثة من المسجونين الخطرين، إلا أن ليزا قد أحست بالرضا يغمرها لأنها لن تضطر لمواجهة ذلك الرجل تلك الليلة على مائدة العشاء ، حتى انها لم تلق بالا لما قد يكون سبب غيابه.

كانت الليلة جميلة وكان جيدا أن تبقى بمفردها قليلا. لم يعرف الخوف طريقه اليها والقمر يضئ المكان بنوره الفضى، فأخذت تمشى بتعدة عن المنزل فى روية دونما هدف أو قصد، وقد فتحت رئيتها على مصرعيها أمام ذلك النسيم البارد العليل الذى أخذ يجول فى أرجاء

الجديقة ويرتب على وجهها وذراعيها فى لطف. توقفت ليزا فى منتصف المرج ورفعت عينيها إلى السماء... إن النجوم غريبة فى مظهرها هنا لقد بدت هذه النجوم فى هذه الليلة الدافئة الهادئة وكأنما هى قريبة منها لدرجة أنها تستطيع أن تلمسها هى تتلألأ وسط هذه السماء الزرقاء الجميلة... إنها ليلة من ليالى المحبين... لكن الحب صار شيئا لا تؤمن بوجوده... كما أنه ليس هناك رجل واحد على هذه الأرض يود أن يكون حبيبا لفتاة مثلها...!!

«تماسكى يا ليزا!!..» حدثت نفسها وأفلتت منها تنهيدة واستمرت فى المشى وصممت ليزا على أن تنفض عن نفسها هذا القلق الذى ينتابها، وأن تمحو ذلك قليلا حتى وصلت إلى شجرة بعد دقائق وأدركت أنها ابتعدت كثيرا ومشت بسرعة كبيرة، ودون عكازها. كانت ساقها تصرخ من الألم وترمى بسهام منه لتخترق من كل جسدها فاستندت فى كل على أقرب شجرة لبان، وخففت الحمل من على قدمها قليلا وأخذت تدعك ساقها بيديها فى محاولة لتخفيف ذلك الألم الحاد الذى ينخر فى عظامها.

يا له من سكون رائع ذلك الذى يحف المكان أسلبت جفنيها واتكأت أكثر وأكثر على جذع الشجرة وراحت يدها تواصل محاولاتها لتخفيف الألم ولكن... مزق سكون الليل نباح كلب غاضب انخلع له قلب ليزا وتجمدت الدماء فى عروقها. فتحت عينيها، وحدقت بنظرات متجمدة لتجد ذلك الكلب الضخم الذى يشبه الذئاب وقد فغرفاه وهى يعدو نحوها فى غضب وثورة وظهر ناباه المرعبان وكأنه على وشك الانقضاض عليها

تمزيق حنجرتها... أغمضت عينيها وانتظرت تلك اللحظة التى ينقض فيها ذلك الوحش و... وفجأة...

«رولف!!»

تجمد الكلب فى مكانه عندما سمع ذلك الصوت المهيب وتوقف الكلب على مسافة لا تكاد تبلغ مترا واحدا من ليزا ولكن... حتى فى ذلك الظلام الحالك كانت تستطيع أن ترى شعر ذلك الوحش وقد انتصب على ظهره وهو يقف فى مواجهتها يراقبها فى توثب وتحفز.

سرت الدماء فى عروقها من جديد حينما وقع بصرها على آدم فاندلبير الضخم، ولكنها أحست بأنها أضعف من أن تقدر على الحركة وأقرب ما يكون لانفجار شلال من الدموع من عينيها. شق شعاع من مصباح ظلام ضوء القمر وسمعت رشقة من السباب تفلت من شفتى آدم جعلت الدماء تتجمد فى عروقها من جديد...

«انك محظوظة للغاية يا آنسة مورو، أننى كنت أمر على مقربة من هنا. رولف لا يكون لطيفا بالمرة مع المتطفلين والدخلاء، ولهذا السبب فانا أبقيته طليقا فى الليل.» أخبرها آدم بصوته المجلجل الأجش.

«أنا فى غاية الامتنان لأن...»

«لا تتحركى!» انطلق صوته الدوى كهزيم الرعد فتجمدت فى مكانها وكأنما قد التقطت لها صورة وهى تخطو مبتعدة عن الشجرة.

«مع أقل حركة سيعتبرك رولف من جديد تهديدا له.» حذرها آدم وهو يقترب منها وقد علقت دون حول ولا قوة فى الشجرة وعضلاتها

www.elromancia.com

منقبضة وقلبها يكاد يتوقف ولا تكاد تستطيع التنفس... لكنه لم يبد أية محاولة لصرف الكلب بعيدا عنها...

«ما الذى كنت تفعلينه هنا فى هذا الظلام؟»

قذف السؤال فى وجهها بشكل مفاجئ جعلها تنكمش فى مكانها ووجدت نفسها تتمتم فى سذاجة...

«كن... كنت.. أتمشى.»

«الم تحذرك أمى هذه الليلة بألا تبتعدى عن المنزل لأن هناك إشاعة بهروب بعض المجرمين الخطرين وأنهم على مقربة من هنا؟»

تجمدت ليزا من الخوف.

«ن... نعم... حذرتنى أمك» اعترفت بأمانة...

«لكننى... أعتقد... أننى... كنت أفكر فى شئ آخر... ولم أسمع ما قالته عن... البقاء فى المنزل... وعدم الابتعاد عنه.»

«لقد عرضت نفسك لخطر بالغ بعدم إصغائك لتحذير أمى.» صفعها بصوته فى ذلك الظلام..«لقد تلقيت تقريرا، منذ أقل من عشر دقائق، بأنه من المحتمل جدا أن هؤلاء المجرمين موجودون هنا.. فى أرضى.»

«أنا... آ... أسفة.» أجابته بصوت محتبس وأنفاس متقطعة. وقد اتسعت حدقتا عينيها عندما جال بخاطرها ما كان يمكن أن يحدث لها لو لم يكن آدم فانديير وكلبه على مقربة منها. وساد بينهما صمت متوتر، لم يقطعه سوى لهاث الكلب ثم... ثم أجبرها الألم الذى ينشب

أظفاره فى ساقها على الكلام...

«هل... هل ستبعد الكلب عنى يا سيد فانديير، أم أننى سأبقى طوال الليلة حبيسته هنا... بجانب هذه الشجرة؟»

«قد يعلمك ذلك درسا لن تنسيه بسهولة،» أجابها بلهجة حازمة ونبرة من السخرية فى صوته...

«كما سيكون من الممتع أن نرى إلى مدى تستطيعين تحمل هذا الوضع.»

«لا شك أنك تجده موقفا مسليا، لكننى لا أجده كذلك. أنا...»

شهقت ليزا وأشاحت بعينيها عن ذلك الضوء الساطع للمصباح الذى سلطه على عينيها...

«هل يجب أن تسلط هذا الشئ على عينى بهذه الطريقة؟»

ولوهلة لم يتحرك الضوء بعيدا عن وجهها الشاحب وعينيها التى امتلأت بالنظرات الزائغة، ثم تحرك الضوء ليسقط عند قدميها، ثم نادى الكلب ليقف إلى جواره.

«الآنسة مورو هى صديقة يا رولف،» قالها وهو يطفئ المصباح «الكشاف» وللحظة لم تر ليزا شيئا ثم، عندما اعتادت عينيها الظلام أبصرت الكلب وقد زالت عنه وقفته المتحفزة وأخذ ينظر اليها فى فضول قلق.

«لا يبدو أنه يصدقك كثيرا.» قالتها بصوت مرتجف من موقف الكلب

www.elromancia.com

تجاهها.

«مدى يدك إليه... لكن ببطء،» قالها آدم فى هدوء ففعلت ما أمرها به وظل هو يقول، «صديقة يارولف.. صديقة.»

زفر الكلب فى أصابعها. مرة أو اثنين وقد بدا عليه شئ من الانزعاج ثم ما لبث أن دفن أنفه الرطب فى راحة يدها.

«هل أستطيع أن أربت عليه الآن؟»

«إنه يتمنى ذلك،» أجابها الرجل فجأة وقد بدا فى ذلك الظلام مجرد شبح أسود.

«إنك كلب جميل يا رولف،» قالتها ليزا وهى تلاطفه ولكنها قالتها بامانة وهى تربت على رأسه الناعمة بلطف ورقة.

«جميل لكن... خطير،» حذرها آدم فاندلبير... «اياك أن تخيفيه مرة أخرى.»

اخذ رولف يضرب كفها بانفه بهدوء وكأنما يؤكد كلام سيده... لكن ليزا لم تكن تحس به تقريبا وهى تشعر بعنى آدم فاندلبير وقد سلطت عليها وجعلتها تحس بانزعاج أكيد مع طول الصمت بينهما. وبحثت فى عقلها فى جنون عن شئ لتقوله... لكنها لم تجد... ثم عندما شق سكون الليل عواء ثعلب تحرك آدم فاندلبير على نحو مفاجئ قائلا:

«ساوصلك إلى المنزل.»

تقبلت ليزا عرضه فى صمت وسارت إلى جواره وخلفهما رولف. لم

يلمسها آدم فاندلبير، ولا حتى عرض عليها اى مساعدة، لكنه مشى ببطء مقصرا خطواته الواسعة، واحست بالامتنان لهذه اللفتة المعبرة.

عندما اقتربا من السلم استدارت ليزا لتشكره لكن نظراتها تجمدت عندما سقطت عيناها على تلك الملامح القاسية التى تشبه ملامح تماثيل الفراعنة التى كانوا ينحتونها من الجرانيت... ما الذى فى هذا الرجل ليسلبها ما تبقى لديها من ثقة بنفسها ويحولها إلى كائن أبله لا يكاد يبين؟ ... تساءلت ليزا والأسى يعتصرها وهى تتأمل تلك الملامح صعودا من ذقنه المدببة ذات الندغة الصغيرة إلى عينيه ذات النظرات الأخاذة والوميض الثاقب الذى أخذ يتلألأ فى ضوء القمر. كان هناك جو من الرجولة الطاغية يجعلها تحس بالصغار والضعة إلى جواره. نعم لقد أحست بهذا الإحساس فى المرتين اللتين قابلته فيهما هذا الصباح... وها هى الآن تعانى منه.

«اقترح عليك أن تدخلى إلى البيت يا آنسة مورو،» جلجل صوته الأجش ليقطع عليها حبل أفكارها ويخرجها من شرودها الناحل...

«ليالى الكارو هنا قد تصبح باردة فى ذلك الوقت من السنة.»

وعندما استدار عائدا لمحت ذلك السلاح القاتل المعلق على كتفه واتسعت عيناها فى خيبة أمل...

«تحمل بندقية،» قالتها بنبرة اتهام وشئ من القلق أطلق لسانها المقيد.

«لن تحاول أن تذهب فتقبض على هؤلاء المجرمين بمفردك، أليس كذلك؟»

www.elromancia.com

«بمفردى؟ .. لا، ليس بمفردى.» قالها آدم ونبرات السخرية تكاد تتقافز من وجهه عندما استدار ليواجهها مرة أخرى، ... لكن كان بصوته تلميحا لشئ لم تستطع أن تتبينه...

«هذا الثعلب الذى سمعت عواءه من دقائق ما هو إلا أحد عمالى يرسل لى اشارة بانهم قد رأوا شيئا ما.»

«هل... هل تعتقد انهم مسلحون؟ المجرمون.. اقصد؟»

«بل أعلم انهم مسلحون.» قالها بهدوء وحسم ثم أشار لها بالمصباح وقد نفذ صبره قائلا...

«لا تخافى مطلقا يا انسة مورو. ستكون هناك دوريات حراسة حول المنزل طيلة الليل، أو إلى أن يزول الخطر.»

«إننى لست خائفة على نفسى، لكننى أخاف عليك... انت» كادت تلك الكلمات أن تقفز من أعماقها وتتخطى شفتيها ولكنها أمسكت بها فى اللحظة الأخيرة وعضت شفتيها وبدرت منها شهقة فزعة...

«طاب مساؤك يا سيد فاندلبير» أخيرا استطاعت أن تقول شيئا.. واستدارت دون أن تلتفت وراءها ودخلت المنزل وأغلقت الباب من وراءها بالمفتاح كما أمرها.

كانت ليزا تهتز بعنف لدرجة لم تستطع معها أن تصعد السلم، لكنها أبت بعناد بالغ أن تستبين السبب وراء تلك الأفكار والخواطر المزعجة التى راحت تعصف بعقلها. وأوت الى فراشها ولكنها ظلت مستيقظة حتى سمعت، بعد منتصف الليل بوقت طويل.- أصواتا تحت نافذتها مباشرة

فاختطفت نفسها من الفراش وهبت واقفة تنظر. ورغم أن سطح الشرفة كان يحول بينهما وبين رؤية الواقفين بأسفل، إلا انها لم تملك نفسها أن تشعر بارتياح غامر عندما تبينت صوت آدم بين أصوات عماله. واستنتجت من الفرح البادى فى أصواتهم وهمساتهم أن جهودهم قد تكللت بالنجاح، وحينها فقط استطاعت ليزا أن تخلد إلى النوم.. وفى الصباح أكدت لها ايريكا فاندلبير وهما يتناولان طعام الفطور، أن آدم ورجاله قد استطاعوا الإمساك بالمجرمين دون أن يصاب أحد.

مرت الأيام وصارت أسابيع واقتربت من شهر... وليزا حريصة على الابتعاد عن طريق آدم ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. لقد كان شخصا مزعجا للغاية، وبه رجولة طاغية لدرجة لم تتح لها الفرصة لتشعر بالارتياح فى وجوده.. ظنه بعدم قدرتها على كما كان رعاية التوأمين.

رغم كل ما كانت تشعر به من توجس فى البداية، سرعان ما تعودت ليزا على هذه المعيشة الجديدة. وقد قوى ساقها الهواء المنعش الذى يتميز به المكان والمشاوير اليومية الطويلة التى كانت تمشيها مع التوأمين، حتى إنها لم تعد فى حاجة إلى عكازها.. وذات ظهيرة وهى مستلقية على فراشها قرب نهاية الشهر الأول، تحولت بخواطرها نحو جوش وكيت الراقدين فى هدوء فى الغرفة المجاورة لغرفتها. لقد تقبل الصغيران النمط الجديد لحياتهما دون أدنى بادرة احتجاج من جانبهما.. كما أن سلوكهما لم تشبه شائبة من الخطأ تقريبا، وارتباطا بليزا فى شغف شديد والى درجة كانت تخفها أحيانا. ربما وجدا فى ليزا ما يعوضهما عن الأم التى فقداها... وكان ذلك ما يزعجها كثيرا... كثيرا جدا.

www.elromancia.com

كانت ايريكا فاندلبير كثيرا ما تستقبل ضيوفا من المزارع المجاورة، ولكن أكثر من كان يتردد عليها هى «ويللا جاكسون» والتى كانت تتردد عليهم مرارا وتكرارا وكأنما كانت تحس أنها يوما ما سيكون هذا المكان كله ملكا لها.

كانت «ويللا» طويلة القوام، ذات شعر كثيف بلون أسود ضارب للحمرة ينساب فى استقامة على كتفيها... لقد استولت على اعجاب ليزا الشديد لمعرفتها الواضحة بتربية الأغنام. دون شك إن «ويللا» ذات قدرات بدرجة عالية... عالية جدا، لكن دون أن ينتقص ذلك من أنوثتها. كانت جميلة ولكنها مثالية بالنسبة لفلاح قح مثل آدم فاندلبير... لو اختار هو أن يتزوجها.

ذات مرة استيقظت ليزا فجأة ينتابها شعور غريب بأن هناك شيئا ما... ليس على ما يرام!! إن جوش وكيت ليسا فى غرفتيهما!! أخذت ليزا تبحث عنهما فى المنزل دون جدوى... وبحثت كذلك فى الحديقة... وأخيرا لجأت ليزا إلى ديزى خادمة ايريكا الأمينة...

«هل رأيت الأطفال فى أى مكان؟»

«لا... يا آنسة ليزا.» اعتدلت واقفة وقد ارتسمت عبوسة على جبينها وهى تستدير لتواجه ليزا...

«أليسا فى غرفتهما؟»

«لا.»

قالتها ليزا وأحست بعضلات معدتها تتقلص من شدة التوتر. لم يتبق

سوى أيام معدودة وتنتهى فترة الاختبار التى منحها آدم فاندلبير اياها... آه لو حدث شئ!! لن يرحمها آدم بتعلقاته الجارحة ونظراته الحادة الساخرة... لم تستطع أن تقاوم أكثر من ذلك تلك الشكوك التى أخذت تخترق قشرة عقلها... لقد سمعت الأطفال يتحدثون عن بئر ما فى المزرعة ولطالما حذرتهما من الاقتراب منها ولكن...

«هناك بئر مهملة فى مكان ما فى المزرعة.. أين هى!»

«نعم... نعم يا آنسة ليزا. إنها وراء هذا التل الذى هناك.»

«شكرا... شكرا.»

«لكن... آنسة ليزا» بدأ القلق ينتاب ديزى بدورها...

«... هل تظنين أن الأطفال قد ذهبوا إلى هناك؟»

«نعم أظن» وأشارت ليزا لها بالصمت وعدم ذكر أى شئ لأحد أيا كان. وانطلقت ليزا تعدو وهى تدعو الله ألا يكون قد حدث للصغيرين أى مكروه.

وكأنها استغرقت دهورا حتى تصل إلى التل... وإن كانت لم تستغرق سوى عشر دقائق فقط. وصلت إليه وقد جف حلقها وأخذ قلبها يدق فى عنف وقد توقفت برهة لتلتقط أنفاسها على قمة التل ولكن... شئ ما أحمر اللون لفت انتباهها... إنها كيت وقد جلست على ركبتيها تنظر إلى الأرض!! انطلقت إليهما ليزا كالصاروخ وقد تناست الآلام التى أخذت تمزق عظام ساقيها..

www.elromancia.com

«ليزا! ليزا! تعالى بسرعة!!»

ركعت ليزا على ركبتيها بجوار كيت وأمسكت بها بقوة.

«أين جوش؟»

لم تكن فى حاجة للسؤال فقد كان هناك حبل متدلى إلى قاع البئر وتبعته بنظرات زائغة إلى الأسفل ليصل إلى سمعها صوت نحيب أكد اسوأ مخاوفها...

«يد... يده انزلقت من على الحبل وسق... سقط..» شرحت لها كيت والدموع تتقاطر من عينيها... وكانت ليزا قد استلقت على بطنها تحدق فى ظلام البئر...

«جوش... هل تستطيع أن تسمعنى؟» كانت عيناها تمشطان ظلام البئر فى محاولة لتبين جسد الصغير...

«ن... نعم... أس... أسمعك يا ليزا...»

«هل جرحت؟»

«هناك كدمة بسيطة فى رأسى... وقد خدشت يدى... لكن لا... لا أستطيع أن أقف على قدمى.»

«هل تستطيع أن تمسك بالحبل؟»

«لا... إنه عالى جدا عنى.»

كاد اليأس يصيبها ولكن... رغم بغضها للفكرة فلم يكن هناك بد... فأمسكت بكتفى كيت فى حزم ودعت الله أن تفهم الصغيرة كلامها وتنفذه بالحرف...

«أريدك أن تعى جيدا ما أقوله يا كيت. عودى بسرعة البرق للمنزل وأخبرى ديزى بكل ما حدث... بالتفصيل. اطلبى منها أن ترسل أحدا ليبلغ عمك وأن تخبره أن يحضر حبلا أطول معه. بعد ذلك ابقى بالبيت.. مفهوم.»

أومأت كيت برأسها وقد بللت الدموع وجنتيها الفضيتين...

«مفهوم يا ليزا.»

«هيا.. اذهبى..» قالتها ليزا بابتسامة مشجعة افلحت أخيرا فى رسمها على شفتيها ودفعتها دفعة خفيفة فى اتجاه المنزل.

«ليزا... أين انت؟»

«أنا هنا يا جوش؟» طمأنته ليزا وربطت الحبل فى الشجرة وأخذت تختبر قدرته على تحمل وزنها...

«أنا نازلة إليك...»

«ستقعين!!»

«لا. لن أقع» لحسن حظها فقد كانت ترتدى حذاءا مطاطا خفيفا كما كان من حسن حظها أيضا أنها كثيرا ما ذهبت إلى الجبال فى رحلات أيام كانت طالبة. وأخذت تنزل فى البئر وهى ترتكن بقدميها

www.elromancia.com

على النتوءات الخشنة على جانبيه... بعد لحظات كان جوش فى حضنها وهو يرتعد من الخوف وانتظرت قليلا حتى جفف دموعه ...

«والآن.. دعنى انظر... كيف أصبت؟»

كانت شمس الظهيرة تلقى بشعاع خافت على فتحة البئر... ولكنه كان يكفى لأن ترى بوضوح ذلك التورم فى جبهته وبقع الطين التى تلطخت بها ملابسه ووجهه. لحسن الحظ كانت يده مصابة برضوض خفيفة ولكن كاحله كان قد التوى بعنف سبب له ألما كثيرا حتى إنه تأوه من الألم عندما أخذت تتحسس التورمات التى كانت به.

رغم ضيق المكان وصعوبة الحركة به فقد نزعت وشاحها القطنى الذى كان يغطى رأسها وصنعت منه ضمادة ربطت بها كاحل الصغير...

«أنا آسف يا ليزا» قالها جوش بعينين دامعتين.

«أعلم ذلك.»

«هل أنت... غاضبة منى لأننى لم أسمع كلامك؟»

«يجب... أن أكون غاضبة جدا منك.» لكن سيكون هناك وقت كاف لنناقش ذلك فيما بعد.»

«كيف سنخرج من هنا؟»

«لا أستطيع أن أخرجك بمفردى ولذا سنظل هنا هادئين حتى يأتى عمك آدم ويساعدنا.»

«عمى آدم سيكون غضبانا جدا...»

«نعم... أتوقع ذلك...» قالتها فى هدوء ظاهرى، لكن القلق كان يعصب بها من الداخل.. كانت قد انتهت من ربط كاحله والبسته حذاءه حتى يعمل كدعامة اضافية للكاحل الملتوى...

طال الانتظار وأخذت عواصف القلق تثور فى عقل ليزا وتزلزل كيانها.. أكيد لن يضيع آدم مثل هذه الفرصة... لن يتردد فى طردها من العمل... يا الله!! لقد تعلقت بالصغيرين... سيؤلمها تركهما بأكثر مما كانت تتخيل... ولكن... أخذت ليزا تستعد للمحتوم عندما أحست بالأرض تهتز مع دبيب حوافر الخيل التى أخذت تقترب منهما...

رفع جوش بصره إلى ليزا فى قلق بالغ عندما توقف وقع حوافر الخيل.. فاستجمعت نفسها وابتسمت له ابتسامة تطمئنه!!

سمعا صوت صهيل حصان فى مكان ما فوقهم ثم.. جلجل صوت آدم فاندلبير المدوى يصفع آذانها وارتجفت له حوائط البئر:

«آنسة مورو؟ هل أنت تحت؟!»

www.elromancia.com

٥- شعاع من الضوء

تدلى الحبل إلى البئر وأخذت ليزا تحيط وسط جوش به فى احكام وبأنفاس لاهثة أخذت ليزا تراقب الصغير وهو يرتفع ببطء لأعلى البئر حتى إقترب من السطح!! كاد قلبها يقفز من مكانه!!

«اعتن بجوش يا بيتروس.»

الآن حان دورها!! شعرت ليزا بتوتر شديد.

«الآن سأنزل إليك الحبل يا آنسة مورو. ثبتيه بإحكام حول وسطك.»

وانتظر هنيئة قبل أن يسألها،

«هيه.. هل فعلت ذلك؟»

«أنا جاهزة!!» نادته من تحت.

كاد الحبل يشق جسدها من فرط قوته وعندما حاولت تخفيف الضغط قليلا انزلقت قدمها واصطدمت فخذها بحجر بارز فى جدار البئر فاطلق قديفة حادة من الألم سرت فى جسدها كله وكاد يطير لها

عقلها. لم تتمالك نفسها فافلتت منها صرخة مدوية.

«ماذا حدث؟» سأل آدم.

«لا شئ!» أجابته بشهقة وعضت على شفتيها فقط اسحبنى لأعلى.»

بعد ذلك بثوان، وجدت نفسها متكئة على صدر قوى ذى عضلات مفتولة. فتحت عينيها فكاد قلبها يقفز من مخبئه عندما وجدت نفسها أمام آدم ونظراته الحجرية تنهال عليها.

«هل أصبت؟» دوى صوته يرج أعصابها الحساسة رجا.

«انزلقت قدمى... واصطدم ساقى بالحائط.. لكننى... لكننى على ما يرام.»

«هل كانت هذه فكرتك يا آنسة مورو؟»

«أنا... أنا...»

«لم تكن غلطة ليزا يا عمو...» أسرع جوش يجيب على عمه بطريقة أدهشت ليزا وأسكتتها.

«من سمح لك بأن تنادى الآنسة مورو باسمها؟»

«أنا الذى سمحت له بذلك.» أجابته ليزا بصوت واهن فحول انتباهه إليها مرة أخرى.

«ليست غلطتها يا عمو.» تابع جوش يدافع عن ليزا فى عناد طفولى...

www.elromancia.com

«لقد... لقد... أمرتنا ألا نقترب من البئر.. ولكن.. لكننا...»

«لكنكم عصيتم أوامرها بكل سهولة!!» أسرع آدم يكمل كلام الصبى بنبرة قاسية جعلت جوش ينكمش فى مكانه.

«نعم.» أقر جوش بكل شجاعة وشفتاه ترتعشان أمام نظرات عمه القاسية.

«هل... هل ستضربنى يا عمو؟»

ساد الصمت للحظات ثم نهض آدم واقفا على قدميه...

«أعتقد أنك قد نلت ما تستحق من عقاب.. انك محظوظ جدا أنك لم تصب بأى كسور.»

نهضت ليزا تقف على قدميها فى وهن وأخذت تربت على رأس الكلب الذى أخذ يتودد إليها وقد راح ذهنها بعيدا. لقد نفذ جوش بجلده ولكن... اكيد لن يبدى آدم نحوها نفس الدرجة من الشفقة لأنها سمحت لذلك أن يحدث.

عندما وصلا إلى المنزل انطلقت ايريكا فاندليير وديزى وجوش خارجين من المنزل معا وكانت الجدة هى أول من تحدث...

«ماذا حدث؟!»

تولت ديزى أمر الصغيرين وخلت ليزا بنفسها فتناولت قرصا لتسكين الألم الذى كان ينشب مخالبه فى ساقها.

ألقت نظرة على ساعتها... لن تؤجل المحتوم أكثر من ذلك!! أسرعت

تنزل إلى غرفة المعيشة فوجدت ايريكا بمفردها جالسة إلى الطاولة فحيتها بابتسامة دافئة أزالت بعضا مما كان فى نفسها من قلق شديد... لكنها ما لبث أن سمعت وقع أقدام ثقيلة انخلع لها قلبها.

كالعادة كان حضور آدم على مقربة منها يشكل حملا ثقيلا على أعصابها لكن... هذه المرة ازداد الحمل أضعافا مضاعفة. ومع ذلك لم يلق لها آدم بالا وجلس فى كرسيه ومضى يتناول عشاءه دون أن يحس حتى بوجودها على نفس الطاولة!!

لم تستطع ليزا أن تستمتع بطعامها إذ كانت أعصابها تنهار ويتغير لونها مع كل حركة يقوم بها آدم... صحيح أنه كان هادئا ولا ينبئ مظهره بشئ ولكن... مثله لا يؤمن جانبه!! بعد برهة انصرف آدم إلى مكتبه واستأذنت ليزا وهرولت إلى غرفتها تنتظر فى ترقب وخوف لحظة أن يستدعيها آدم وتحين ساعة الحساب مرت ساعات... وساعات... ولم يحدث شئ!! أوت إلى فراشها ولا يزال القلق يعتصرها لكن لم يطاوعها النوم... وبدأت تحس بثقل فى صدرها يزداد مع مرور الوقت.. أخذ العرق يغمر جسدها كله وهى تتذكر شيئا فشيئا تلك التجربة المريرة التى مرت بها تلك الظهيرة...

لم تستطع أن تتحمل أكثر من ذلك فنهضت من فراشها... وارتدت عباءتها ونزلت السلم بخطوات خفيفة ودون أن تحدث صوتا وأخذت تتحسس طريقها فى الظلام والساعة العتيقة المعلقة على الحائط تراقبها بدقاتها الرتيبة... فتحت الباب الأمامى وولجت إلى الشرفة وأخذت تعب من هواء الليل المنعش عبا.

www.elromancia.com

أخذت تتأمل النجوم وتعدها... لطالما أخذت هذه النجوم الجميلة بلبها!! انطلقت حشرات الليل تقطع السكون بصريرها الذى استحال فى سمع ليزا المنهكة إلى موسيقى هادئة حالمة... وبدائية. أغمضت عينيها وسبحت فى هذا الجو الخيالى المحيط بها من كل جانب وشرعت توصد الأبواب أمام تلك الخواطر المزعجة التى أخذت تتراكم فى عقلها... ظلت هكذا لدقائق حتى أحست بأنها ليست وحدها!!

«ما الذى تفعلينه هنا فى هذه الساعة... بحق الله؟!»

جلجل صوته الآتى من الأعماق فجعلها تنكمش أكثر وأكثر...

«أ... أنا... لم أستطع أن أنام... فجئت هنا... استنشق الهواء.»

«هل ما زالت ساقك تؤلمك؟!»

«لا.»

تحرك آدم فجأة ووجدت يده على خدها... أذهلتها سرعة حركته فبدت عاجزة عن النطق مستسلمة تحدق فيه فى ذهول! أخذت أصابعه تتحسس وجنتها وتتلمس ذلك الندب البارز بطول فكها... سرى تيار كهربى قوى فى كيانها إثر لمسته!! ارتعش قلبها وتزلزل كيانها... لماذا؟!! لا تدرى.

حبست أنفاسها من الخوف ثم... أدركت فجأة أن هناك رجل واحد على الأقل على ظهر هذه الأرض... لم ينفره منظر ذلك الجرح البارز فى وجهها!!

«ألهذا لم تستطيعى النوم؟ لأنك ظننت أننى سأطردك من العمل؟»

أنزل يده إلى جانبه لكنها كانت لا تزال تحت تأثير سحره.

حدقت فيه ذاهلة لدقائق قبل أن تدرك ما يرمى إليه...

«لقد أصبحت أعشق الأطفال.»

«لن تغامر أى امرأة إلى قاع بئر سحيقة لتهدئ من روع طفل سقط به حتى تأتيها النجدة، لذا انسى كل ما قلته عن فترة الاختبار.»

لم يكن فى صوته إلا لمحة لا تكاد تذكر من الثناء على موقفها ولكن... جعلها قولها هذا تحس بالدماء تسرى فى عروقها من جديد. وتبعث الدفء فى أوصالها أضاف آدم فى حزم:

«ستبقين.»

«شكرا.» همست وهى تحاول أن تتمالك نفسها...

«بخصوص البئر... ألن...»

«سنغلق البئر بإحكام هذه المرة.» قالها بشكل مفاجئ كعادته واستدار مبتعدا وكأنه يأمرها بالانصراف... «تصبحين على خير يا ليزا.»

«تصبح على خير يا سيد فاندلبير!»

هرولت تصعد السلم وصوت آدم وهو يناديها باسمها يتردد فى عقلها... لقد ناداها قائلا «ليزا» ربما دون أن يدرى!! ما هذه الفرحة التى تشعر بها؟! ما سببها؟! ربما لأنها لن تطرد من العمل... إنها لا تزال تحس

www.elromancia.com

بدفء يده الخشنة على وجنتها... هدأت نفسها وراحت فى سبات عميق... عميق.

شفى جوش من إصابته سريعا وبعد أسبوع كان يتقافز فى المنزل بكل حيوية ونشاط ومن جديد عادت ليزا، الآن بلا ضغوط، مطلقة اليد فى تهذيب الصغيرين ورعايتهما.

«لا تدعيهما يرهقانك..» نصحتها ايريكا وهما يتناولان الشاى ذات ظهيرة.

أومأت ليزا ظهرها للخلف واسترخت فى مقعدها واغمضت عينيها...

«لا يهم. إننى أستمتع بذلك كثيرا ولقد صنع ذلك بى العجب العجاب، رغم أن هذه الألعاب قد تؤلمنى أحيانا.»

«آلا حظ أنك بدأت تمشين بشكل أفضل..» قالتها العجوز واحتضت ليزا بنظراتها الدافئة..«هل أنت سعيدة معنا هنا... يا ليزا؟»

«نعم... نعم أعتقد أننى يجب أن ألقى نظرة على الصغار.»

أومأت ايريكا لها بالايجاب دون أن تنبس بنبت شفة... لكن ليزا كانت تشعر بنظرات ايريكا التى رمقتها بها والقلق يكاد ينطق فى عينى العجوز.

استغرقت ليزا وقتا طويلا حتى تنفض عن نفسها تلك الخواطر الغريبة التى انتابتها هذا الصباح.. وقبيل موعد العشاء تلقت لفافة أحضرت إلى غرفتها... كانت اللفافة مغلقة بورق فضى لامع ذى ألوان

زاهية. فضت الغلاف فوجدت صندوقا وعليه مظروف... خفق قلبها بشدة عندما رأت المكتوب عليه، فقد كانت تعرف ذلك الخط...

«تكرمى على بقبول هذه الهدية المتواضعة عوضا عن الذى اضطررت لفقده...»

«أ . ف»

قفز قلبها... فقد عرفت ما فى الصندوق ففتحته لتجد ما توقعته بالضبط، وشاح كبير ذو الوان زاهية ومطرز من حوافه بأشغال حريرة... من النوع الغالى، بل الغالى جدا.. يا لها من هدية رقيقة!!! إن آدم يستطيع أن يكون فى غاية الرقة. وفى غاية العنف والفظاظة!!

أسرعت ليزا تلف الوشاح على رأسها وتقف أمام المرآة لترى نفسها... يا الله... فى غاية الروعة والجمال!! لكن... لا يمكن أن تقبله... أسرعت تطويه وتضعه فى الصندوق وهى تربت على الوشاح وكأنما تواسيه... أو تواسى نفسها!!! حملته فى حزن جارف وأسرعت تلحق بآدم ...

www.elromancia.com

٦- زيارة مفاجئة

قررت ليزا أن تغامر وتتوجه إلى مكتب آدم الذى كان من المناطق المحرمة عليها... طرقت الباب وقد تقلصت عضلات بطنها من شدة التوتر... أتاها صوت آدم من الداخل يدعوها للدخول بلهجة حازمة متقضبة... توقفت قلمه عن الكتابة ورماها بنظرات نارية جعلها تنكمش فى نفسها... ولم يدعها للجلوس فسألته بتردد وهى تجلس:

«ممكن أ... اتكلم.. مع حضرتك... دقيقة؟!»

«هل هو أمر مهم؟» قالها بوجه عابس.

«بالنسبة... لى.»

«هيا... قولى ما عندك.»

تلاشى الكلام من ذهنها لوهلة ملامحه الصخرية ونظراته الصارمة...

«أشكرك... على الوشاح الذى أرسلته لى... لكن...»

«لكن! ماذا؟!»

«لا أستطيع أن اقبله كتعويض... إنه غالى جدا.»

زان على المكتب صمت طويل ثم انكمشت ليزا فى مقعدها أكثر وهو يلقى بقلمه وينهض واقفا.. أخذ يدور بخطوات ثقيلة حول المكتب وبدت إلى جواره كما لو كانت قزما لا يكاد يرى... لو كانت أطول من ذلك قليلا!!

«لم أعتد أن ترمى هداياى فى وجهى بمثل هذه الطريقة.» يكاد كل حرف ينطق بغضبه..

«أبدا... أبدا.. أنا... أنا لم... لست...»

«ماذا؟ هل اللون غير مناسب؟»

«أبدا... أبدا... بالعكس.»

«ماذا؟ هل ذوقى لا يعجبك؟»

«أبدا... أبدا.. هو جميل لكن...»

«هل تتوقعين أن أطلب ثمنا مقابل كرمى معك؟»

سرت ارتعاشة عنيفة فى جسدها واتسعت عيناها ذهولا:

«لا... لا.. أبدا!! لم أفكر بهذه الطريقة مطلقا. بالإضافة إلى أنك... أنك..»

«أنى ماذا؟»

«لست من ذلك النوع من الرجال اللذين يمنحون الهدايا لكى... لكى تحصل على أغراضك.»

www.elromancia.com

قالتها وهى تتحاشى نظراته...

لقد تحول حديثهما تماما!! الآن بدات تنظر اليه على إنه رجل لا مجرد صاحب عمل.

«أنت على حق تماما...» قالها بصوت اخذ يرج سمعها رجا.

كانت ليزا ترتعش بكل ذرة فى كيانها فمضت نحو الباب وجاهدت حتى فتحته. لا تذكر ان كانت اغلقته خلفها ام لا... كل ما تذكره انها يجب أن تبتعد عن آدم فاندلبير باسرع ما يمكنها...

فيما بعد، عندما زال اثر الصدمة التى احدثها تصرف آدم، حاولت جاهدة أن تدرك السبب فى تصرفه ذلك... لكنها لم تجد!! لم يؤثر فيها اى رجل من قبل بمثل تاثير آدم... ولا حتى «روى»!!

الآن تحس بخوف رهيب يكاد يفقدها رشدها منه... نعم ذلك الجانب المتوحش فى آدم، هو ما كان يخيفها منه... ويقترب بعقلها إلى حافة الجنون!

من المستحيل أن يتفادى المرء شخصا يعيش معه تحت سقف واحد. ادركت ليزا ذلك فى الأيام القليلة التالية مع وصول المدير الجديد الذى عينه آدم لمزرعة ويفرلى، مزرعة اخيه الراحل... إنها حتى لم تعد تستطيع أن تتجنبه كما تخيلت. لقد اصبح يقضى وقتا اطول فى مزرعته وسط ممتلكاته.. ولخيبة املها لقد اصبحت تقابله وتلتقى به كلما خرجت بصحبة التوامين. ونادرا ما كانت تصادفه بمفرده كانت ويللا جاكسون» بصحبته دائما... وازداد إحساس ليزا بان هذه

الفتاة بدات تظهر «لليزا» انها ستكون السيدة القادمة لمملكة آدم.

كانت «ويللا» لا تبذل اى جهد للكلام مع «ليزا»... يبدو انها كانت تحس انها اقل مكانة منها... إنها مجرد عاملة... دائما ما كانت نظراتها تحذر «ليزا» من الاقتراب من آدم!! كانت «ليزا» تتلذذ كثيرا بما تراه فى عينى «ويللا» من توجس وخشية تجاهه.. بالقطع ليس آدم فاندلبير بالرجل الذى يروق لها... لكن لو... لن تسمح لها «ويللا» بالاقتراب من آدم... تحت أى ظرف من الظروف.

التقت ليزا «بكينيث رودمان» المدير الجديد، ذات مرة عندما دعته ايريكا فاندلبير لتناول العشاء معهم... كان طويلا ونحيفا وذا عينين شرهتين وكان ذا شعر بنى اشعث... لكن كان لا يضارع خبرة بالزراعة وتربية الأغنام. وجدت ليزا فيه شخصية جذابة... لولا مزاحه واستظرافه الصبيانى!! ودهشت كثيرا لمحاولاته الجريئة للتقرب منها والتودد إليها... لكن عندما ادركت أن آدم كان يراقبهما بنظرات ساخرة تتفجر غيظا، عندها بدات تشجع كينيث اكثر واكثر. لماذا تفعل ذلك... لا تستطيع أن تدرك السبب. لكنها ندمت كثيرا على تشجيعها له عندما قابلته ذات مساء وهى تتمشى كالمعتاد فى الحديقة...

«كلما رايتك... اشعر بالدوار. انت اجمل فتاة قابلتها فى حياتى...»

«لا تقل شيئا. إنها غلطتى انا. انا اقدرك يا كين واحمل لك المودة... لكننى ادرك الآن اننى قد ضللتك من البداية.»

«هل تقصدين انك لا تكنين لى نفس المشاعر التى أكنها لك؟!»

www.elromancia.com

«نحن لم نتعارف إلا من أيام قلية.» قالتها وهى تحاول أن تتفادى قول الحقيقة.

تابعته ليزا بعينيه وهو يهرول ناحية سيارته وينطلق بها فى صرير مزعج. أفلتت تنهيدة من أعماقها... كان غباءا منها أن تدع الأمور تصل إلى هذا الحد..

«كان ذلك مشهدا مؤثرا ولا شك.. لكن غير مرضى.»

«ماذا!!» استدارت ليزا بحركة حادة وكان قلبها ينخلع من مكانه عندما أبصرت سيج آدم يستند بقامته الفارعة على شجرة خلفها.

«منذ متى وانت واقف هكذا؟»

«ياه... من زمان.»

«هل تقصد أنك... سمعت؟»

«سمعت كل شئ...»

«كم كان ذلك خسيسا منك!!»

«ربما...» قالها وهو يبرز خارجا من تحت ظلال الشجرة حيث كان يقف.

«ومن حسن حظى أننى كنت هنا لأشاهد نهاية تلك المسرحية. أداء جيد» وصفق بيديه فى سخرية وجلجلت ضحكاته تهز كيانها هزا.

«واعتقد أنك وجدت الأمر مسليا... أليس كذلك؟»

«أكيد.»

«أنا.. أنا ذاهبة للبيت.»

«لا. لن تذهبى.» كانت عيناه تقذفان بحمم من النظرات التى كادت تخترق وجهها وتحيل أعصابها إلى رماد...

«يجب أن ينتهى المشهد نهاية... مرضية لك.»

دق قلبها فى عنف...

«ما... ماذا تقصد؟»

«لقد استأجرت كينيث رودمان لكى يرعى لى مزرعة أخى... وليس ليحقق لك ماربك الخاصة...»

تلون وجه ليزا وأحست كأن الأرض تدور بها...

«هل هذا ما تظنه بى؟ أننى رخيصة إلى حد أننى سأرتمى فى أحضان أول رجل أقابله؟!»

«أليست تلك هى الحقيقة؟»

«مطلقا! بكل تأكيد لا!!»

«هل تنكرين أنك كنت أنت التى شجعت كينيث؟!»

«لست أنكر ولكن... ولكن...»

توقفت فجأة... كيف ستخبره أنها نفسها لا تفهم ولا تدرى ما الذى

www.elromancia.com

دفعها لتشجع؟!!

«لكن لم يكن هو المقصود... » حدقت فيه بذهول وبلاهة...

«... بل المقصود هو انا...»

«لقد جننت!!!»

«قولى ما يحلو لك...»

«أعتقد أنك أبغض رجل قابلته فى حياتى كلها... ولولا الأطفال...»

«لولا الأطفال لكنت طردتك من المزرعة فورا.» قاطعها بحدة...

«لا تنسى ذلك!!»

تجمدت ليزا فى مكانها... لا أحد يستطيع أن يجمدها فى مكانها مثل ذلك الصوت المدوى الحازم الذى يقذفها به آدم فاندلبير...

راقبته ينصرف بعينين تدفق منهما شلال من الدموع وقلب كسير... يا لهذه الضعة التى تشعر بها الآن... لم يهنها أحد من قبل كما فعل ذلك الوحش البغيض!! لكن عليها ألا تلوم إلا نفسها...!!

ومع اقتراب شهر نوفمبر تغير الطقس تماما وأصبحت الحرارة لا تطاق وترامت الروج على مد البصر وهى تتلوى من الألم تحت تلك الحرارة القائظة وأحست ليزا بأنها فى نفس حال هذه الروج المسكينة... «حرانة ومغبرة!!»... لكن كان هناك شئ آخر فى هذه الروج... فقد أخبرتها ايريكا فاندلبير بأن هذه الروج وهضاب الكارو كذلك لها سحر خاص فى مثل هذا الصيف القائظ... كانا فى رحلة إلى المدينة ليشتريا

الزى المدرسى للصغيرين...

«بعد هطول الأمطار المبكرة... تبعث الروح من جديد فى هذه الصحراء وتتلألأ فيها ورود وازهار برية من كل شكل ولون... واذا لم تأخذى الحذر اللازم...»

توقفت برهة وصمتت فأثارت كل حواس ليزا...

«اذا لم تأخذى حذرك فستقعين تحت سحر هذه المنطقة ولن تغادريها... تماما كما فعلت انا منذ سنين عديدة.»

إن السيدة فاندلبير على حق بكل تأكيد... يجب أن تأخذ كامل حذرها وإلا سيصبح فراق هضاب«الكارو» مؤلما للغاية... كما أنها لا تجرؤ على التفكير باليوم الذر ستفارق فيه الصغيرين...

اشتريا اغراضهما بسرعة من المدينة وأسرعا فى طريق العودة قبل أن ينهب الملل الصغيرين... وامتلأت حقيبته سيارة آدم باللفافات والحقائب البلاستيكية.

«يا الله!! متى تأتى المدرسة؟! لا أطيق الانتظار حتى يأتى وقت المدرسة!!»

قال جوش عندما وصلا أخيرا إلى المنزل .

«سنفتقدك كثيرا يا ليزا!!» قالها الصغيران فى صوت واحد وفى ألم ظاهر فاسرعت ليزا تحتضنهما وقد امتلأ قلبها بل فاض حبا لهما وهى تحاول أن تمسح ذلك الخيط من الدموع الذى انساب على وجنتيها...

«وانا كذلك... سأفتقدكما كثيرا... يا حبيبى!» قبلتهما ليزا فى

حنان بالغ.

سمعوا طرقات على الباب ورأت ديزى تدلف الى الغرفة...

«السيد آدم أرسلنى لأخبرك أن هناك رجلا يريد أن يراك، يا آنسة ليزا.»

قطبت ليزا حبينها:

«رجل يريد أن يرانى، يا ديزى؟!»

«نعم، يا آنسة ليزا.»

«سأتبعك خلال دقيقة. صرفتها ليزا بعد برهة من التفكير.

ثم التفتت الى الصغيرين وحذرتهما قائلة:

«اياكما أن تفعلا اى شئ غير لطيف أثناء غيابى... سآتى إليكما بسرعة.»

أسرعت ليزا تعدل من هندامها وتهبط الدرج فى خفة ورشاقة. ترى من هذا الذى يريدها؟ ولماذا؟ توترت عضلات معدتها وهى تخطو ناحية غرفة المعيشة ولكن ما ان وقع بصرها على ذلك الشاب الأشقر النحيل الذى وقف يحادث آدم وظهره إليها حتى صدرت منها شهقة لم تستطع منعها...

«روى!!»

٧- لقاء مع الماضى

«ليزا!! حبيبتى ليزا!!

قفز روى ناحيتها واختطفها بين ذراعيه وأخذ يؤرجحها حتى دون أن تدرى ماذا يفعل!!

«من أخبرك أننى أعمل هنا؟»

«قابلت أمك فى المدينة منذ بضعة أيام وأعطتنى عنوانك..» بدا عليه الندم وطأطأ رأسه وهو يضيف:

ليزا... لقد كنت تذلا للغاية معك.»

تقلصت عضلات وجهها وهى تجيبه:

«ما فات مات يا روى... لست فى حاجة لأن تشعر بالأسى على ما فات.»

«هل سامحتنى إذا؟» سألها فى شغف ولهفة.

«طبعا.»

التمعت عيناه بابتسامة لا تزال تذكرها... لكنها لم تعد تحرك مشاعرها...

www.elromancia.com

«حبيبتى... لا أستطيع أن أصف لك مدى الراحة التى أشعر بها الآن ولا أسمعك تقولين أنك سامحتنى..»

انتبهت حواس ليزا عندما رأته يدس يده فى جيبه ويخرج منه علبة قطيفة صغيرة..

«روى!!»

«خاتم الخطوبة لا يزال معى هنا يا ليزا. لم يكن لك أن تخلعيه من يدك. أعطنى يدك يا ليزا.»

ارتدت ليزا للخلف بحركة حادة وغمر وجهها شعور بالتقزز..

«لا... يا روى!!»

«ليزا؟»

بدا الارتباك على وجه روى وكسا وجهه مسحة من القلق الطفولى وهو يرى ليزا تحدق فيه بهذه الطريقة... كيف أمكن أن تقع فى حب مثل ذلك الشئ؟!! صحيح أنه وسيم لدرجة جعلته يغتر بنفسه ويظن أن يستطيع أن يحصل على ما يريد بمظهره الوسيم ذلك ولكن... ها هو الآن يبدو زائغ النظرات وهى ترفضه بهذا الشكل...

«لو سمحت يا روى... لا أريد أن أجرحك لكننى لم أعد أحبك، وأدرك الآن أننى لم أحبك يوما ما.»

«كيف تستطيعين قول ذلك؟!»

أشارت له بيديها:

«إنها الحقيقة يا روى. زواجنا كان سيصبح غلطة، غلطة شنيعة.»

«ما الذى يجعلك متأكدة إلى هذا الحد؟»

«من فضلك عليك أن تتقبل حقيقة أننى لا أحبك، لم أعد أحبك، أسفة على أنك قد قطعت كل هذه الرحلة دون فائدة. لكن لو كنت اتصلت بى بالهاتف كنت وفرت على نفسك المشاكل.»

ضغط على شفتيه وهو يجيبها قائلا:

«لن أقبل أنك لم تعودى تحبيننى بعد الآن... انك لا زلت متوترة بعض الشئ ليس الا. كما أن والدتك أخبرتنى أنك لا تزالين تعانين ألما فى ساقك. وعندما تشفين تماما سيتغير مشاعرك.»

أجابته فى غضب وحزم وهى تضغط على حروف كلماتها:

«لن تتغير مشاعرى. ولست بحاجة لوقت لأعيد التفكير فى الأمر. كان أمامى الكثير من الوقت لأتبين حقيقة مشاعرى تجاهك خلال تلك الأسابيع الطويلة فى المستشفى، وفى فترة النقاهة التى قضيتها فى المنزل، كذلك.»

مد يده متوسلا:

«ولماذا... لماذا يا ليزا؟!»

حدجته بنظرة شاردة لوهلة، ثم، لم تكن تود أن تخوض فى الماضى مرة أخرى ولكن حيث أن روى لن يقتنع إذا لا بأس من مواجهته بالحقيقة ومجابهة الماضى...

www.elromancia.com

«ذلك التعبير الذى ارتسم على وجهك عندما جئت ترانى فى المستشفى... كشف لى أنك لم تحبنى يوما من قلبك، يا روى. لو كنت أحببتنى بالقدر الذى تقول، ما كان همك شكلى ومظهرى. صحيح اننى لم أكن جذابة يومها، لكن تحت ذلك القناع الذى كنت ترانى فيه، كنت أنا كما أنا... نفس الشخص ولم أتغير، لكن ذلك الشخص الذى كنته حينها لم يكن يهمك بأدنى درجة!! لقد أعدت لك خاتمك وخرجت ساعتها من حياتى كلها... نعم من حياتى كلها...»

كاد يقاطعها لولا ابتسامة السخرية والمرارة التى ارتسمت على شفتيها...

«... كنت على استعداد لأن اعتبرها مجرد صدمة وستزول، لو كنت جئت وعدت إلى قبل اليوم، نعم قبل اليوم بوقت طويل...»

لمعت عيناها الزرقاوان بسخرية واضحة وهى تتابع...

«ليزا...»

«عد الى كيب تاون يا روى...»

قاطعته فى حدة واستدارت ورنت بعينيها بعيدا إلى الخارج حيث الحديقة وما وراءها... إلى حيث الأغنام ترعى فى دعة وهدوء وتسير متفادية تلك الشمس المحرقة إلى حيث ظلال الأشجار الوارفة...

«... عد من حيث أتيت... ابحث عن شخص آخر ليرتدى خاتمك... طلبك ليس هنا يا روى.»

«هل تقصدين ذلك حقا؟»

«بكل تاكيد... أقصد كل حرف فيما قلت.»

قالتها فى هدوء وسكينة ولمع فى عينيها شئ جعله يقتنع أخيرا أنها جادة فيما تقول...

«إذا... فلم يتبق شئ بيننا يا ليزا سوى أن أتمنى لك التوفيق والسعادة... وداعا يا ليزا...»

وابتعد عنها بخطوات ثقيلة وكأنه لا يزال يأمل أن تتراجع لكنه ما لبث أن أسرع الخطى مبتعدا... من حياتها كلها...

خرجت إلى الحديقة وأخذت تتريض حينة وذهابا فى محاولة أن تنفض عن نفسها تلك الأحزان...

فجأة أحست ليزا بحاستها السادسة أنها ليست بمفردها... فتحت عينيها والتفتت حولها لتجد آدم فانديير بقامته الفارعة واقفا كالطود أمامها.

«ماذا!!! هل قطعت عليك خلوتك؟!»

«كنت على وشك الذهاب... دعنى أرجوك.»

«ولم العجلة؟! بضعة دقائق لم تضر...»

«الأطفال...»

«نائمون فى غرفتهم... كما كان يفترض بك أن تكونى الآن.»

www.elromancia.com

«لقد كنت متخوفة من هذا القيظ.. ولم أستطع النوم من شدة الأرق.» ثم خفت صوتها وهى تهمس فى توسل: «دعنى أرجوك يا سيد آدم.»

«إصرارك على الانصراف يدل على أنك خائفة.»

«لست خائفة.»

«هل تقصدين أن قلبك يدق بهذا العنف فى المعتاد؟!»

«دعنى أذهب.»

«لن أدعك إلا اذا وعدتنى بأنك لن تهربى وأننا... سنتكلم.»

«ليس لدينا ما نتكلم بشأنه!!»

«لكن أنا... لدى الكثير... الكثير...» كانت نبرات السخرية واضحة فى صوته..

«حسنا! أعدك.» قالته فى استسلام. فكيف تستطيع أن تهرب من هذه القبضة القوية؟!!

«انصرف «صديقك» بسرعة على ما أعتقد؟»

«ليس «صديقى».. » تصلبت عروقها من لهجته... «روى ليس صديقا لى بأى حال!!»

«بجد؟!» الآن كانت سخريته واضحة للأعمى..» حسب ما قاله لى، والاستقبال الذى رأيته يتحفك به، أعتقد أنه أكثر من... صديق!»

استدارت ناحيته بغضب تلاشى عندما اصطدمت عيناها بعينيه...

«لا يهمنى ما قاله لك ولا ما رأيت أنت... أنت مخطئ إذ تظن أنه صديقى.»

«حقا؟!!»

أشاحت بعينيها عنه قليلا وهى تعترف له:

«حسنا... اذا كنت مصرا على أن تعرف... أنا ورى كنا مخطوبين.»

«هكذا!! فهمت!»

«أنت لا تفهم شيئا.» صرخت فيه بيأس من أن يوقف سخريته تلك أو يفهم شيئا مما قصدته...

«اذا... اشرحى لى.»

«ليس من شأنك.»

«هانذا أجعله شأنى.» قالها بحدة وضغط بيده على معصمها فى قوة وتابع...

«هل هذه الخطبة التى تتكلمين عنها... هل كان فسخها له علاقة بتلك ال... الحادثة؟»

فاجأتها كلماته. لكنها أجابته فى خفوت...

«نعم.»

«بسبب الحادثة؟»

«نعم.»

www.elromancia.com

«هل تعنى انه تخلى عنك وقت ان كنت فى أمس الحاجة لوجوده بجوارك؟»

«نعم تخلى عنى...» ورفعت رأسها وقد بدا التحدى فى عينيها...

«... بعد أن فسخت الخطوبة.»

رمقها بنظرة مكذبة وأجابها:

«أنت؟! أنت التى فسخت الخطوبة؟!! ماذا؟ هل مللت منه ام قال لك شيئا جعلك تعتقدين انه لم يعد يرغب فى الزواج منك؟!»

«لم يكن... مضطرا لقول شئ!.. قالتها بصوت محتبس واستدارت مبتعدة عنه واتكأت بيديها على المقعد ودفنت رأسها بين يديها...

«... كان... كان كل شئ واضحا فى عينيه.. ذلك الفزع.. والنفور والاشمئزاز. لذا أعدت له خاتمه وأخبرته أن كل شئ بيننا قد انتهى.»

«هكذا. الآن فهمت.»

تغيرت نبرات صوته ولم تلحظ ليزا أى أثر للسخرية فى صوته الذى يخرج وكأنه صخرة تهوى من أعلى الجبل...

«لماذا اذا قطع كل تلك المسافة خصيصا ليراك هذا الصباح؟»

من أعطى آدم فاندلبير الحق ليتدخل فى أخص خصوصياتها بهذا الشكل؟!

وجدت نفسها تجيبه قائلة:

«من الواضح انه قابل والدتى منذ أيام واعتقد انه اكتشف فجأة أننى لست بذلك القبح الذى كان يتخيله بعد تلك الحادثة... وطرأت لديه فكرة أن يعيد خطبتنا كما كانت.»

«ثم؟»

تنهدت فى عمق ورفعت رأسها تنظر فى عينيه فى تحد...

«ثم لا شئ.»

«ماذا هل طردته؟!»

«اخبرته بكل بساطة ان عليه ان يعود ادراجه إلى كيب تاون ولينسى تماما.»

زم شفتيه فى أسى وهو يسألها:

«هل كان صعبا عليك إلى هذه الدرجة أن تسامحيه؟!»

«ليست المسألة أن أسامحه أم لا... لقد سامحته منذ وقت طويل ولكن...»

«أعتقد أن زواجنا كان سيفشل وما كان له أن ينجح أبدا..»

«وكيف تأكدت إلى هذا الحد؟!»

«ليس هناك شئ مؤكد فى هذه الدنيا... لكننى أعلم عن يقين ألا مستقبل لى مع روى؟»

«مع من إذا؟»

www.elromancia.com

«هل تعنى أنه تخلى عنك وقت أن كنت فى أمس الحاجة لوجوده بجوارك؟»

«نعم تخلى عنى...» ورفعت رأسها وقد بدا التحدى فى عينيها...

«.. بعد أن فسخت الخطوبة.»

رمقها بنظرة مكذبة وأجابها،

«أنت؟! أنت التى فسخت الخطوبة؟!! ماذا؟ هل مللت منه أم قال لك شيئا جعلك تعتقدين أنه لم يعد يرغب فى الزواج منك؟!»

«لم يكن... مضطرا لقول شئ!.. قالتها بصوت محتبس واستدارت مبتعدة عنه واتكأت بيديها على المقعد ودفنت رأسها بين يديها...

«... كان... كان كل شئ واضحا فى عينيه.. ذلك الفزع.. والنفور والاشمئزاز. لذا أعدت له خاتمه وأخبرته أن كل شئ بيننا قد انتهى.»

«هكذا. الآن فهمت.»

تغيرت نبرات صوته ولم تلحظ ليزا أى أثر للسخرية فى صوته الذى يخرج وكأنه صخرة تهوى من أعلى الجبل...

«لماذا اذا قطع كل تلك المسافة خصيصا ليراك هذا الصباح؟»

من أعطى آدم فاندلبير الحق ليتدخل فى أخص خصوصياتها بهذا الشكل؟!

وجدت نفسها تجيبه قائلة،

«من الواضح أنه قابل والدتى منذ أيام واعتقد أنه اكتشف فجأة أننى لست بذلك القبح الذى كان يتخيله بعد تلك الحادثة... وطرأت لديه فكرة أن يعيد خطبتنا كما كانت.»

«ثم؟»

تنهدت فى عمق ورفعت رأسها تنظر فى عينيه فى تحد...

«ثم لا شئ.»

«ماذا هل طردته؟!»

«أخبرته بكل بساطة أن عليه أن يعود أدراجه إلى كيب تاون ولينسى تماما.»

زم شفتيه فى أسى وهو يسألها،

«هل كان صعبا عليك إلى هذه الدرجة أن تسامحيه؟!»

«ليست المسألة أن أسامحه أم لا... لقد سامحته منذ وقت طويل ولكن...»

«أعتقد أن زواجنا كان سيفشل وما كان له أن ينجح أبدا..»

«وكيف تأكدت إلى هذا الحد؟!»

«ليس هناك شئ مؤكد فى هذه الدنيا... لكننى أعلم عن يقين ألا مستقبل لى مع روى؟»

«مع من إذا؟»

www.elromancia.com

تسارعت دقاتها وهى تجيبه:

«مع... مع.. ليس مع أحد»

تابع فى قسوة:

«هيه... انت فتاة جذابة ولديك الكثير لتقدميه إلى اى رجل وبالتاكيد لن تدعى العرجة الخفيفة وتلك الندوب التافهة تعترض طريقك.»

وكانه قد وضع طنا من الملح على جراحها...

«معظم الرجال يبحثون عن الكمال... ولم... لم أعد كاملة كما كنت.»

«اذا فتختبئين داخل قوقعتك تلك وتطردى كل الرجال من حياتك؟!»

«لو كنت تفضل أن تقولها بهذه الطريقة... نعم سافعل.»

«لكن احذرى ألا تحولك احزانك إلى امراة عانس يائسة.»

التمعت عيناها الزرقاوان بالغضب وصاحت فيه قائلة:

«كيف تجرؤ على قول ذلك؟! لست ارثى لحالى.»

«صحيح؟!» ضاقت حدقتا عينيه على نحو خطير وهو يتابع:

«.. اذا فما كل هذه الكابة والأسى التى تكاد تتجمد على ملامحك؟!!»

أحست ان يدها تكاد تقفز لتصفعه على وجهه... ذلك الوغد الحقير... لكنها أدركت انها لن تسلم منه فيما بعد...

«أرجوك اتركنى وشانى فلا يهمنى رأيك.»

«اين تذهبين؟» سالها وهو يخطو وراءها...

«ساعود إلى المنزل.»

«إلى قوقعتك لتعلقى جراحك على انفراد؟!»

استدارت بحدة تكاد الدماء تنفجر من عروقها غيظا وغضبا وصاحت فيه بغضب هائل...

«انت لا تطاق! غير معقول... انت...!»

«أهدئى يا ليزا.»

«اذا دعنى أذهب وساريحك من صحبتى المتعبة يا سيد فانديير.»

«قد تثورين أحيانا يا ليزا نعم...» لأول مرة ينطفئ ذلك البريق فى عينيه وتحس بالأسى والشجن فى نبراته...

«... لكننى اعلم كم انت هادئة ورزينة.»

بدا وكأن نظرات الدهشة فى عينيها تروق له لكن... ليس ذلك الذى يقف أمامها حالا هو آدم الذى كانه من ثوان...

جلسا ولم يجر بينهما الكلام... فقطع هو يحتاجها الآن... الآن أصبح بينها نوع من الألفة... لا تدرى سببها ولا كنهها...

www.elromancia.com

أغمضت ليزا عينيها وأطلقت لخيالها العنان...

وعندما فتحتهما وجدت آدم يحدق فيها بدفء ومودة...

«لم تكوني بحاجة إلى مغازلات كينيث رودمان الصبيانية لكى تدركى أنك لا زلت جميلة» قالها فجأة وعلى نحو غير متوقع... فابتسمت له وقلبها يخفق فى عنف.. فاردف بابتسامته حانية تراها لأول مرة:

«ألهذا السبب كنت تشجعينه؟!»

«نعم... أعتقد ذلك.»

«كنت أعلم هذا.» غمغم وقد ارتسمت على وجهه أمارات الرضا، فارتجفت جسدها وانكمشت عندما قفز إلى خاطرها تلك الاهانات التى وجهها لها...

«طالما كنت تعلم... فلماذا...» انحبست الكلمات فى حلقها.

«هل ظننت فعلا أننى... أننى كنت أجرى وراءه من أجل علاقة ما؟!»

«مطلقا.» قالها فجأة... فأحست بأنها تود لو احتضنت يديه القويتين فى يديها.

«... أعلم أننى قد قلت كلاما كثيرا جارحا ولكننى كنت غاضبا منك لانعدام ثقتك بنفسك.»

سألته وهى لا تكاد تصدق:

«ولماذا تزعجك عدم ثقتى بنفسى الى هذا الحد؟»

«... ربما لأنك مخلوقة ضعيفة وبحاجة لأن أحميك... حتى من نفسك.»

«استطيع أن أحمى نفسى بنفسى.»

قطع صوت «ويللا جاكسون» حبل الكلام بينهما فانتفضت فى عنف وأحست ليزا أن الأرض تدور بها بينما ظل آدم رابط الجاش وهو يحييها...

«مساء الخير «ويللا» ما الذى أتى بك هنا فى هذه الساعة؟»

خطت ويللا فى المسافة الفاصلة بينهما وأحست ليزا بسهام الغيرة تخترق قلبها... كانت ويللا جميلة وأنيقة رغم ملابسها الرثة المغبرة... رمقت «ويللا» آدم بنظرات جامدة واصطنعت ابتسامة باهة على طرف شفتيها وهى تجيبه:

«تعطل مولد الكهرباء لدينا فارسلنى أبى لأرى إن كان لديك وقت لتلقى عليه نظرة هذا المساء.»

www.elromancia.com

٨- الملاك الصغير

انصرف آدم لتغيير ملابسه بينما قالت ويللا: «ابقى معى قليلا يا آنسة مورو... أريد صحبتك لبعض الوقت.»

نظرت ليزا إليها فأدركت على الفور أنها لا تريد صحبتها وإنما شيئا آخر...

ابتسمت ويللا ابتسامة باهتة وإن ظلت عيناها باردتين كالثلج،

«أريد أن أنصحك يا حبيبتى... لا تتغابى مع آدم. فهو مرتبط فعلا.»

أحست ليزا بصفير يكاد يخترق أذنيها وبالعرق يتدفق بغزارة من جبهتها.. آه.. لو كانت ويللا ضربتها بهذا السوط الذى تحمله فى يديها لكان أهون من ذلك...

أحست ليزا بنفور بالغ تجاه ذلك المخلوق الذى يقف أمامها،

«هل تلمحين إلى أننى أطارده؟»

ابتسمت ويللا فى عذوبة،

«لست ألمح إلى شئ يا حبيبتى ولكن... مع العيش تحت سقف واحد لابد أن تتولد بينكما الألفة ويصعب أن تبقى علاقتك به محصورة فى نطاق العمل... طبيعى فعلا أن تصبح حميمة ولكن عليك فقط...»

صمتت برهة موحيا...«ألا تأخذى الأمر على محمل الجد. الأمر

بالنسبة لآدم لا يعدو أن يكون مجرد تسلية، ولن يجرح فى النهاية أحد سواك.»

لن تنخدع ليزا بكلام هذه الفتاة. ما يهم هذه الفتاة هو مصلحتها الشخصية.. فقط لا غير. إنها حتى ستأسف من أجلها لو كان كلامها صحيحا.

«إن كان آدم مرتبط بك كما تقولين ألا يزعجك أن تعرفى بأمر هذه... الهفوات؟»

ابتسمت ويللا واعتدلت فى وقفتها وهى تنظر إلى ليزا نظرة انتصار...

«أنا وآدم من نفس النوع يا عزيزتى...»

وأضافت فى إلفة ظاهرة..«أنا وآدم يفهم أحدنا الآخر... تماما.»

حدقت فيها ليزا غير مدركة أتهنئها أم تواسيها... لكنها قررت ألا تفعل أيهما.

«يجب أن أستأذن يا آنسة جاكسون،» قالت ليزا فى هدوء«لا بد أن الأطفال يتساءلون ماذا حدث لى.»

«ستتذكرين ما قلته لك؟»

وكيف تستطيع أن تنسى! أومأت ليزا والألم يكاد يمزقها إربا ومضت ناحية المنزل!

«آدم وويللا، آدم ويللا، آدم ويللا!» ظل عقلها يردد ويصرخ طوال

www.elromancia.com

الطريق... أنهما متكافئان تماما...» هى تعلم ذلك منذ البداية فلماذا تحس بهذا الألم الآن؟

«لا تفكرى يا ليزا!!! لا تفكرى يا ليزا!! فقط سيرى... سيرى... سيرى»

ظلت تصيح بنفسها وما إن خلت بنفسها فى غرفتها حتى انهمر شلال من الدموع واعصار من الألم أخذ يكشح فى طريقه كل كيانها! لقد استسلمت مشاعرها لأدم بكل سهولة... استسلمت له بحب وكانت له مجرد تسلية...

دفنت رأسها فى الوسادة وأخذت ترتجف فى عنف... لابد أنه يضحك منها ملء شدقيه الآن... ياه... لقد كانت صيدا فى منتهى السهولة بالنسبة له... لقد خدعها بصوته الحنون ونظراته الدافئة وتفهمه الزائف لحنتها، وبرجولته المحصنة، لكنه، كان يتلاعب بها، فقط يتلاعب بها، يتلاعب بها!

لقد قادها ومشت وراءه كالعمياء إلى هذا الوضع المهين!

يا إلهى! لماذا تحس بكل هذا الألم؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا فجأة... تدفقت الإجابة إلى عقلها كشلال هادر غمرها وكاد يغرق الحجرة بما فيها... إنها تحب آدم، يا لغبائها وسخافتها، ولكنها الحقيقة. كان يجب أن تكرهه لأنه تلاعب بها بهذه الطريقة، لكنها بدلا من ذلك أحبته. يا الله!! لماذا يفعل بنا الحب ذلك؟! نحب من يتجاهلنا ويعذبنا ويتلاعب بنا ونتوسل لقلوبنا أن تنساه وعقولنا أن تطرده ولكنه يظل ساكنا بها ومهيمنا عليها ويتوغل فيها يوما بعد يوم!!!

لم تشعر بأى فرحة وراء ذلك الاكتشاف... فقط تبقى ذلك الألم الذى عشش فى قلبها كأسراب الخفافيش التى تمتص دماءها وتكاد تذهب بصوابها. آدم سيكون «لويللا» ومن رحمة الله بها أنها ستغادر هذا المكان الكئيب قبل أن يتزوجا.

انهمكت ليزا بعد الغداء فى اللعب مع الصغيرين وتناست مؤقتا أحزانها ولكن... ما إن انتهى اللعب حتى انغمست فى نوبة من الاكتئاب لم يكن يبد أن شيئا ما سيقدر على انتشالها منه.انشغل الصغيران باللعب فلم يلحظا شيئا من الكآبة ليزا، لكن ايريكا فاندلبير- بنظراتها الفاحصة وعينيها الخبيرتين- لم يكن ليفتها شئ مثل ذلك فدعتها لتناول عصير بارد فى الشرفة.

«تبدين شاحبة يا صغيرتى...» قالت ايريكا عندما لاحظت أن الصمت طال بينهما... «هل تشعرين بشئ؟»

«إنها حرارة الجو فقط.» لم تكن كذبة كاملة اذ كانت تحس بالعرق يغمرها وبالرطوبة اللزجة تلتصق ببدنها وتكاد تخنقها.

«نعم، أحيانا ما يفك هذا الجو طاقة المرء...» قالتها العجوز وهى تتفحص ليزا بعينيها الخضراوين... «أنت سعيدة معنا... هنا يا ليزا... أليس كذلك؟»

حدقت ليزا بنظرات زائغة فى الحديقة واستقرت عينيها على الصغيرين وهما يلهوان معا فى المرج بالخارج...

«أنا غير سعيدة هنا... يا سيدة فاندلبير.»

www.elromancia.com

«هل تفتقدين حياة المدينة؟»

«لا... لا أبدا.» أسرعت ليزا تجيبها والتفتت إليها لتجد تلك الابتسامة العذبة مكون وجنتى السيدة العجوز.

«هل أنا محقة عندما أعتقد أنك ستأسفين لفراقنا؟»

«نعم.»

أشاحت ليزا بنظراتها بعيدا. الآن ينتابها ألم جارف... ألم من أحب بجنون وهو يدرك أنه لابد مفارق من يحبه فى نهاية المطاف.

«لقد سحرتك هضاب الكارو...» قالتها ايريكا فى هدوء انتشل ليزا من شرودها...

«نعم... أخشى أن ذلك ما حدث.» ضحكت ليزا ضحكة قصيرة لكنها سرعان ما أشاحت بوجهها عندما احتبس صوتها وترقرت عيناها بالدموع.

دق جرس الهاتف لينقذ الموقف... وانتهزت ليزا فرصة نهوض ايريكا لترد عليه، فاستجمعت رباطة جأشها من جديد وسحت الدموع التى تجمعت فى عينيها، من الغباء أن تبكى من أجل شئ لن يكون لها أبدا ومن الأفضل لها أن تتعايش مع هذه الحقيقة الآن... وكلما كان أسرع كلما كان أفضل.

«إنه آدم...» شرحت لها ايريكا عندما عادت...

«يقول إن آل جاكسون دعوه لتناول العشاء معهم وأن اصلاح المولد

سيستغرق وقتا. شئ مقرف حقا، لكن كما تعلمين فقد ساعدوه كثيرا منذ أن توفى...» قطعت كلامها وتنهدت فى عمق...

«يستحسن أن أذهب لأرى ماذا يفعلون فى المطبخ... أما أنت فمن الأفضل أن تلقى نظرة على هذين الشيطانين الصغيرين.» قالتها ضاحكة عندما وصل إلى مسامعها صياح لاه من الخارج.

أسرعت ليزا للخارج ووصلت فى اللحظة المناسبة لتنقذ حرباء. كانت على وشك أن تغرق فى حوض سمك الزينة...

«أوه.. ليزا...» انطلقت من جوش وكيت معا وهى ترفع المخلوق الضعيف من الماء وتطلقه بعيدا..«لم نكن سنتركها تغرق!!»

وافقتهما ليزا:

«ربما أنتم على حق... لكن وضعها فى الماء شئ شديد القسوة.»

«هل نستطيع أن نذهب فنسبح فى الحمام؟» سألها جوش ملقياً وراءه حادثة الحرباء... يا للسرعة التى يغير بها الأطفال موضوع الحديث!!

أومأت ليزا برأسها موافقة فأسرع جوش يختطف يد كيت...

«هيا يا كيت.. هيا لنرتدى ثوب السباحة، بسرعة هيا!!»

فى المساء عندما أدخلت ليزا الصغيرين فراشهما سألها جوش:

«هل يمكن أن نبقى مستيقظين قليلا؟»

أجابته ليزا بحزم وهى تغطيهما:

www.elromancia.com

«لا... لا يمكن.»

«لكن عمو آدم ليس هنا. أنت قلت ذلك.»

«ولو... النظام نظام. وستنامان الآن حالا.»

«أو... لا!!»

«بل... نعم.»

«لن يعرف عمو آدم أننا بقينا ساهرين قليلا..» احتج جوش وأضاف فى محاولة لاقناعها..«كما أن«ستو» لن تمانع.»

هبت ليزا واقفة بين السريرين ورسمت على وجهها ما استطاعت من صرامة...

«أعطانى عمك تعلميات صارمة يا جوش ولا أجرؤ على مخالفتها.»

«لكن يا ليزا...»

«قلت لا... يا جوش!!»

ران الصمت لوهلة وبدا وجهى الصغيرين بعد أن اغتسلا ملائكيا، وقد اتسعت أعينيهما وبدت فيهم خيبة الأمل.

«لا تنادينى جوثوا» إلا اذا كنت غاضبة منى!!» قالها جوش بعينين دامعتين كادتا تذيبان عزمها وتصميمها... لكن ما إن ورد غضب آدم على خاطرها حتى استردت شجاعتها...

«لست غاضبة منك يا جوش، لكن يجب أن تنام الآن.» قالتها بنبرة

بدت أكثر ودا ونهضت تلتقط بعض الدمى المتناثرة على الأرض وتضعها فى مكانها...

وهى تفعل ذلك سمعت الصغيرين يتهامسان فيما بينهما وتظاهرت بأنها لا تلحظ ذلك،وعندما استدارت تواجههما مرة أخرى وجدت وجهان فى غاية الجدية يحدقان فيها...

«ليزا، ألم تعودى تحبيننا؟» قالت كيت فى تردد...

ركعت ليزا بجوار السريرين وقد غاص قلبها داخلها وأخذت تحتضنهما وتمطرهما بالقبلات...

وأجابتها وفى حلقها غصة،

«ياه، أحبكما كليكما، بل أموت فيكما حبا، لكننى لا أستطيع أن أسمح لكما بالسهر أطول من المعتاد. سيغضب عمكما منى للغاية، وأعتقد أنكما لا تودان حدوث ذلك. أليس كذلك؟»

أجابها فى وصوت واحد، «لا... لا.»

«اذا فلننم هيا.» قالتها ليزا بابتسامة عزبة وهى تداعب رأسيهما بيدين حانيتين.

«لماذا لا يحبنا عمو آدم؟»

أسرعت ليزا تجيب على سؤال جوش المفاجئ،

«أبدا... أبدا!! بل هو يحبكما جدا!»

لم يقنع جوش،

www.elromancia.com

«إنه لا يلعب معنا أبدا..»

وأضافت كيت: «فقط يوبخنا وينهرنا!!»

«عمكم رجل مشغو جدا يا أولاد».. وجدت ليزا نفسها مضطرة للدفاع عن آدم، حتى وإن كانت غير مقتنعة بما تقول...

«... هناك دائما عمل فى المزرعة يستلزم منه أن...»

قاطعها جوش مقطبا:

«لكنه دائما نراه يركب جواده ويتمشى مع تلك السيدة من المزرعة المجاورة.»

«لكن... أنا...» أسقط فى يد ليزا ولم تحر جوابا... فما الذى يمكنها أن تقوله فى هذا الشأن؟!

سألتها كيت: «هل ستصبح زوجة عمنا؟»

تردد صدى السؤال فى قلب ليزا التى أجابتها فى حذر:

«لا... لا أعرف... ربما!!»

«أعتقد أننى أكره ذلك!!» انفجر بها جوش ورأت ليزا فى صوته شبها كبيرا بعمه!!

تمتمت ليزا فى قلق:

«لا... لا... لا يصح أن تقول ذلك.»

لكن جوش أصر على موقفه:

«لكن هذه هى الحقيقة وانت قلت لنا اننا يجب أن نقول الحقيقة دائما.»

ترددت ليزا برهة لا تجد ما تقول... «نعم- لكن..»

ثم قررت أن تضع حدا لهذه المناقشة...

«هيه... حان الوقت الآن لنطفئ الأنوار.»

«إنها- لا تحبنا كذلك.»

جعلتها عبارة كيت تتجمد واصبعها على زر الكهرباء بين السريرين... لم تكن بحاجة لأن تسأل عمن تتحدث كيت.

وبختها فى لطف قائلة:

«ليس هناك ما يربط بينكما وبين الآنسة جاكسون ولم تتعاملا معها إذا فكيف تقولين ذلك؟»

أجابها جوش فى نبرة من التحدى:

«نحن نعلم ذلك.»

«لماذا لا تتزوجين عمو آدم؟» ألقت به كيت..«ستكونين أنت إذا زوجة عمنا.»

تصلبت يد ليزا وهى تسوى الملاءات فى شرود...

«لا يمكن أن أفعل ذلك.»

www.elromancia.com

«ولماذا لا تستطيعين؟»

سحبت ليزا نفسا عميقا وأجابت فى تردد:

«لأن... لأن عمكما وأنا... نحن... لا نشعر بهذه الطريقة أحدنا تجاه الآخر.»

قطب جوش حبينه:

«أية طريقة؟»

«إم م م... نحن لا... لا نحب بعضنا.»

«لكن ألا تستطيعين...»

«لا. لا أستطيع. وبالتأكيد لا يستطيع عمكما،» قاطعها ليزا فى حدة ونهضت على قدميها فى اشارة أن المحادثة قد انتهت...

«... الآن أغمضا عينيكما وناما حتى أطفئ النور.»

سألتها كيت فى أسى: «ألن تقبلينا قبل أن ننام؟»

ذاب قلب ليزا بين أضلعها...

«بلى بكل تأكيد...» وابتسمت فى دفء وانحنت عليهما تقبل كلا منهما فى حبينه...

«... تصبحان على خير.»

«تصبحين على خير يا ليزا.»

كانت ليلة مظلمة... أدركت ليزا ذلك وهى تدلف الى الشرفة بعد

العشاء لتغسل رئتيها ببعض الهواء المنعش... كانت السيدة فاندلير تجلس فى استرخاء.. و كانت السحب قد تجمعت من مكان ما لتتآمر على النجوم وتحجبها خلفها... لكن ظل الجو خانقا والحرارة شديدة. وقالت السيدة فاندلير على حين فجأة:

«هكذا هى الأحوال هنا... يبدو الجو صيفا وجميلا ولكن فجأة.. لا يعلم المرء ماذا يمكن أن يحدث.»

لم تجبها ليزا فرمقتها بنظرة حادة وتابعت...

«... انت صامتة كثيرا هذا المساء يا ليزا... هل أتعبك الأولاد كثيرا اليوم؟»

ابتسمت ليزا فى وهن تحدق فى الظلام المترامى أمامها...

«لا... لا... فقط أرادا أن يبقيا ساهرين لبعض الوقت، لكننى لم أستطع أن اسمح لهما بذلك.»

«طبعا لا يمكنهما ذلك.»

وسقطتا فى الصمت مرة أخرى...

«سيدة فاندلير...» قالت ليزا فى تردد وهى تتأرجح بكرسيها الخيزران فى توتر واضح... «ما مشاعر آدم تجاه الصغيرين؟»

«ماذا تقصدين يا عزيزتى؟»

«أقصد... هل هو مغرم بهما؟»

www.elromancia.com

«طبعا... طبعا، كما أنه مهتم بتربيتهما بالطريقة التى كان «جاك» يتمنى أن يربيهما بها...» توقفت برهة وأحست ليزا بعينيها تتفحصانها فى اهتمام...

«لماذا تسألين؟»

أجابتها ليزا وهى تزيل خصلة من شعرها انسدلت على عينيها:

«شئ قاله الصغيران وأنا أضعهما فى فراشهما... آدم لا يابه لهما كثيرا ويبدو أنهما يظنان أنه... أنه لا يحبهما كثيرا.»

انفجرت السيدة فاندلبير قائلة:

«هراء!! أتمنى أن تكونى قد أخبرتهما أنهما مخطئان؟»

لعقت ليزا شفتها وقالت:

«حاولت ولكن... أعتقد أننى لم أفلح تماماً فى اقناعهما.»

«تولى أمر الصغيرين مسؤولية هائلة... كما أن آدم...»

توقفت ايريكا، كان واضحا أنها كانت تدرك أن الصغيرين معهما شئ من الحق. ثم حاولت أن تدافع عن سلوك آدم كما فعلت ليزا من قبل...

«... لقد زادت مشاغله مؤخرا ولم يعد لديه الوقت الكافى لمراعاة شئونه الخاصة ولا حتى شؤون أسرته... كان الله فى عونه!!»

«أعلم ذلك.»

تنهدت ايريكا من أعماقها وأضافت:

«ربما يجب على أن أتحدث معه لكن... يا الله!! لقد صار فظا هذه الأيام وعندما يصبح كذلك من الأفضل تفاديه.»

«أعتقد ذلك.» وافقتها ليزا، لكن لم تحل المشكلة بعد. فالصغيران يشعران أنه لا يحبهما وآدم يتجاهل أن تصرفاته معهما هى السبب فى هذا الشعور.سحبت ايريكا نفسا عميقا وقالت:

«أعتقد أنه بحاجة إلى زوجة.. أن الأوان لكى يستقر وتكون له أسرته الخاصة.»

«آن الأوان «لمن» يا أماه؟»

انطلق السؤال بصوت كالرعد وسقط قلب ليزا فى قدميها وهى ترى ذلك الشبح يبرز من الظلام أمامها... كان آدم قد اقترب من المنزل فى هدوء بالغ فلم تلحظه أى منهما... ولاحظت ليزا مدى الغضب الذى يتأجج فى صدره وقد اتكأ على إفريز الشرفة وعقد ساعديه أمام صدره.

«يا الله! آدم... لقد أفزعتنى يا ولدى!!»

لم يكن لدى آدم استعداد لتغيير الموضوع...

«حياة من التى تحاولين التحكم فيها هذه المرة يا أماه؟»

أجابته ايريكا فى رباطة جأش: «حياتك أنت يا آدم...»

لم تملك ليزا منع نفسها من الاعجاب بشجاعة ايريكا التى أضافت...

www.elromancia.com

«... حان الوقت لتجد لنفسك زوجة... لطيفة وحنونة ومحبة تستطيع أن تهذب طباعك الخشنة، وتغير من فظاظتك هذه قليلا!!»

أجابها ادم فى سخرية:

«كلام جميل.. وهل تقترحين شخصا ما؟»

«لا، لكن...» توقفت لحظة ثم تابعت وهى تضغط على كلماتها...

«... امرأة مثل ليزا... على ما أعتقد.»

أحست ليزا بجبل من الثلج يسقط فوق رأسها والدماء تتجمد فى عروقها... ثم تسرى فيها من جديد محدثة خدرا مؤلما وهى تتمنى فى نفسها لو انشقت الأرض وابتلعتها.

«ولماذا «مثل» ليزا؟» سألها ادم بصوته الساخر...

«لماذا لا تكن ليزا نفسها؟!»

«يا ليت!! أطلقتها السيدة ونهضت بعد أن وضعت النار بجوار البنزين...

«والآن، بعد إذنكما، سأنصرف لأنام مبكرا.»

لم تكن لدى ليزا أية نية للبقاء وحدها مع ادم ولذا أسرعت تنصرف فى أعقاب ايريكا بعد إذنك.. لدى خطابات يجب أن أكتبها.»

«لحظة من فضلك.»

تجمدت فى مكانها عندما وصلها ذلك الصوت المجلجل الأمر...

فاستدارت ببطء لتواجه أكثر رجل تخشاه على ظهر هذه الأرض... وأكثر رجل تحبه مع ذلك!!

سألته وهى تتصنع الهدوء:

«هل هناك شئ تود مناقشته معى؟»

تحرك ادم من مكانه نحوها فسقط الضوء المتسلل من نافذة غرفة المعيشة على وجهه وتمنت ليزا، عندما رأت السخرية تنفجر من قسمات وجهه، ألو ظل فى مكانه... سألها فجأة:

«ما رأيك فى اقتراح امى؟»

أحست بالتوتر ينهش كيانها كله وهى تجيبه:

«أفضل ألا نناقشه بالمرة.»

«إذا، فأنا لا أروق لك كزوج؟»

«لم أت «فيرفيو» لأبحث عن زوج... كما أن والدتك كانت تتكلم على نحو عام...»

وتجاوزت السؤال وهى تضيف:

«إنها فقط تريد أن تراك مستقرا ولك أسرتك.. لكن ليس بالضرورة معى»

«اذا فمن تقترحينها زوجة مناسبة لى؟»

أشاحت ليزا بعينيها تتفادى تلك النظرات التى كانت تعلم أكثر

www.elromancia.com

مما تستطيع أن تخيفه...

« ليس من شانى ان اقترح عليك من تتزوج.»

تمتم فى سخرية:

«يا خسارة!! كنا سنستمتع بسماع آرائك فى الموضوع.» ثم وضع يده فى جيبه وهو يقول:

«بشأن ما حدث اليوم عصرا.»

انكمشت ليزا فى نفسها.

«لو لم يكن لديك مانع، يا سيد فاندلبير، لا اود مناقشة ذلك.»

زفر آدم يديه وقال فى سخرية:

«أعتقد اننا قد تخطينا مرحلة سيد فاندلبير.»

احتقن وجه ليزا وصاحت فيه:

«قلت لا اود الحديث عن ذلك الموضوع!!»

صاح فيها آدم بدوره:

«حسنا... حسنا لن نتكلم عن ذلك. لننسى الأمر كله، لو كان ذلك سيسعدك، لكن.. هل تتكرمين وتشرحين لى لماذا هرولت كالأرنب الذعور لحظة أن انصرفت والدتى؟»

«انا لم أهرب... انا...»

قاطعها فى نبرة توكيدية:

«بل هربت... وكنت متاهبة للفرار منذ أن أصبحنا وحدنا.

أحست بالوحشة فى عينيه فصاحت فيه:

«اياك أن تلمسنى!!»

رفع آدم يده عنها ولكنه وضعها على الافريز مانعا اياها من الهروب...

«هناك شئ من البراءة فيك يا ليزا تجعلنى أظن أنك ملاك صغير.»

www.elromancia.com

٩- الرأى الأخير

عندما لجأت ليزا إلى غرفتها وأصبحت فى مأمن من غارته... اكتشفت أن آدم على حق. إنها ترتجف!! أحست بأن قلبها يكاد يقفز من بين جنبيها!!

وعندما نامت عاد ذلك الكابوس الذى هاجمها بعد الحادثة يفترسها الآن... ها هو آدم يقفز بخفة الفهود إلى منامها ويطاردها ويكاد ينشب مخالبه الفتاكة فى جسدها الواهن... ولت هاربة وكأنما ترى الشيطان نفسه... تود لو صرخت بكل قوتها تستغيث وتستنجد لكن.. هيهات.. ها هو صوتها قد احتبس فى حلقها وتجمدت أحبالها الصوتية... ولا تكاد تنطق... تسارعت دقات قلبها وأخذ صدرها ينتفض فى عنف وقسوة وهى تحاول الهروب من هاتين القبضتين القويتين اللتين أطبقتا على عنقها فى قسوة وعنف.. أما من مغيث؟! أما من منقذ؟! إنها تحاول الهروب ولكن وكأنما قد تسمرت قدماها فى الأرض وتوقف قلبها عن النبض و...

«ليزا!» صوته يبعثر كيانها ويحلله أشلاءا وها هو حلمها ينقلب حقيقة!!

كان آدم بجوارها وقد خفض رأسه يرمقها بعينيه النافذتين

وملامحه الصخرية وجثته الهائلة بالنسة لها فى ضوء المصباح الباهت وهو يهزها ويناديها...

«ليزا! استيقظى يا ليزا!»

انتفضت السماء تصفع وجه الأرض بسياط من برق بث الرعب فى أوصالها وآدم. يضع يده فوق فمها ليكتم صرخة أوشكت أن تفلت منها.

تجمدت فى مكانها واتسعت حدقتاها فى ذهول. كانت العاصة تضرب المكان فى الخارج فى هدير مدو... ها هى تدرك أخيرا!! لكن لا زال رعب كابوسها يطاردها وآدم يزيح يده شيئا فشيئا ويومئ لها بالصمت...

«ماذا تفعل فى غرفتى؟»

تدحرجت الكلمات من شفتيها وأصابعها تحتضن حلقها المجروح والخوف لا يزال رابضا فى عينيها... وأدركت أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل ولا يزال آدم بكامل هندامه..

«كنت ألقى نظرة على النوافذ فى ظل العاصفة عندما سمعتك تصرخين.»

قالها فى هدوء وهو يصب لها كوبا من الماء ويناوله لها، لكنها كانت ترتجف فى عنف حتى إنها لم تقو على رفع الكوب وحدها فرفعه إلى شفتيها وهى ترتشف قطرات منه فى نهم شديد...

«بسبب العاصفة أم هو كابوس؟» سألها حينما انتهت من الشراب.

«لا... لا... أعرف.»

«ربما خليط من الاثنين؟!»

www.elromancia.com

أدركت فجأة أنها لا تزال فى الفراش وهو إلى جوارها فأسرعت تخطف الغطاء وقد انكمشت فى جانب السرير تحدق فيه فى رعب...

صفح المطر وجه النافذة فى عنف وانطلقت سياط البرق تلهب ظهر السماء... فانكمشت اكثر فى مكانها وهى تحس أن العاصفة ليست فى الخارج فقط وانما هنا فى الغرفة تحيط بها من كل جانب.

«أنا على ما يرام الآن؟» قالتها بصوت مرتجف فى يأس أن يتركها وحدها.

«هل انت متاكدة؟»

«نـ... نعم. شكرا لك.» قالتها تجاهد لتسيطر على فمها الذى بدأ يرتعد فى عنف...

« يا ربى!! لست على ما يرام بالمرة!!»

قالها وهو يرتب على ظهرها ويهدئ روعها وكأنها طفل مذعور بحاجة لمن يطمئنه ويهدئ من روعه...

وقد كانت ساعتها كذلك فاستكانت وهدأت واخذت دقات قلبها تهدأ شيئا فشيئا... لم يدر بخلدها حينها أن تقاومه... ولا حتى تذكرت تحذيرات «ويللا» لها... فقط... هى تحس بالأمن الآن... كم كانت فى حاجة إلى هذه السكينة!!

«أعتقد أنك.. أنك يجب أن تنصرف.»

همست بها ليزا وقد فاض الألم فى عينيها...

نهض آدم واقفا على قدميه قائلا:

«أعتقد ذلك أيضا! طابت ليلتك يا ليزا.»

أفلتت منها آهة وهى تستند بظهرها للوسادة وتطفئ النور. كانت حدة العاصفة قد خفتت قليلا لكن ظل المطر ينهمر ويسيل غزيرا فوق النافذة وأخذت تحدق فى خيوط المياه التى أخذت تسيل فوق زجاج النافذة، شاردة الذهن... كسيرة القلب ومن بعيد تناهت إلى مسامعها كلمات أغنية قديمة تطفو من قاع عقلها المرتبك «دون أن نشعر نغرق فى بحر الحب»

ولم تذكر ليزا بقية الأغنية... لكن أحست بأنها قد كتبت خصيصا من أجلها... لقد تنهدت كثيرا وأحبت كثيرا... ولن تعود حياتها كما كانت أبدا من قبل!!

«الحب الحقيقى لا يحدث سوى مرة واحدة فقط، وما عداه زيف وخداع.»

أخبرتها خالتها «مولى» يوما ما... ولهذا لا يمكن أن يرد فى خاطرها فكرة الزواج من أحد. لن يستطيع أحد أن يكون لى مثل ما كان «لوك» ، مهما حاول... وإن رضخت وتزوجته شخصا آخر سينتهى بنا الأمر وقد تحولت حياتنا إلى جحيم.»

كانت الخالة «مولى» على حق. إن حبها لآدم هو ذلك الشئ الذى لا يتكرر سوى مرة واحدة فى العمر كله... ولن يستطيع أحد أن يحل محله!!

استمرت العاصفة تضرب طيلة تلك الليلة واكتسحت فى طريقها

www.elromancia.com

الأسوار واقتلعت الأشجار من جذورها، وضرب البرق كوخ أحد العمال فحرقه لكن لم يصيب أحد بأذى وظل آدم ورجاله يكافحون ويسابقون الزمن طوال يومين قتالين لإزالة آثار تلك العاصفة العاتية.. واضطر آدم إلى تقسيم رجاله إلى فرق لينقذ ما يمكن انقاذه من قطعانه وليضع حدا للخسائر. وشاركت ليزا فى اعداد الطعام للرجال وتلبية حاجاتهم وأحست بسعادة لم تعهدها من قبل رغم أنها كانت تضطر فى بعض الأوقات للوقوف على ساقيها.

كان الحال فى مزرعة «جاك» التى يديرها كينيث رودمان لا يختلف فى قليل أو كثير عن حال مزرعة آدم... وشغل كينيث بما شغل به آدم. وأتى كين ذات يوم ليقدم تقريرا لآدم عن الأحوال فى مزرعة أخيه وبدا مجتهدا منهمكا رث الملابس أشعث الشعر كغيره من الرجال.

ركن كين سيارته واقترب من ليزا التى كانت على وشك الدخول إلى المنزل.

«صباح الخير يا ليزا... هل آدم بالداخل؟»

«لا أدرى. لقد خرج مبكرا هذا الصباح ليتفقد الأحوال ولم أراه يعود»

«ما عدت غاضبة منى... أليس كذلك؟»

«لم أغضب منك قط يا كين.» بادرته ليزا تطمئنه.

«انا فقد سامحتنى؟»

«لم تفعل ما يستدعى أن أسامحك؟»

وجلس معها على أحد المقاعد الخشبية تحت أحد الأشجار الكثيفة

الأغصان الناضرة الأوراق...

«أنت جميلة جدا يا ليزا... ولست أغازلك مجرد مغازلة جوفاء.»

أشاحت ليزا بنظراتها بعيدا فى قلق وقطفت وريقة من الشجر وفركتها فى يدها لتشم رائحتها الذكية...

«لم أتعلق من قبل بأى فتاة إلى هذا الحد، ولن يكون سهلا على اعتبارك مجرد صديقة كما تعلمين...»

بدت الجدية الشديدة على وجهه مما جعلها تدرك أن عليها أن تقنعه بشكل أو بآخر...

«كين... أنا آسفة يا كين لكن...»

قاطعها وهو يخفض يده مطلقا سراحها:

«أعلم ذلك على الاكتفاء بالنظر من بعيد والتحسر على الحب الذى لن يكون!! لكن أريد أن أعرف صاحب الحظ السعيد... أقصد أريد أن أعرف ذلك الذى هزمنى وفاز بحبك.»

«أنت مخطئ... ليس هناك من أحد.»

«كان والدى العجوز يقولى لى حينما ترى الفتاة تحمر خجلا، فكن متأكدا أنها تكذب.»

قالها ومسحة من المزاح تبدو فى نظراته اليها أجابته ضاحكة وهى تحاول أن تزيل توترها:

«لابد أن والدك العجوز يعرف الكثير عن النساء، وعن طباعهم.»

www.elromancia.com

لم تكمل عبارتها عندما سمعت خشخشة أقدام مألوفة على الحصى الذى يغطى الأرضية على مقربة منها... كان آدم... مرهق ومنهك أشعث الرأس ثائر الشعر متغير الوجه وقد ذهب به الاعياء كل مذهب...

«هل أرسلت تريد رؤيتى يا رودمان؟»

هب كين واقفا...

«نعم يا سيدى.»

«ساكون فى مكتبى... وحاول أن تختصر مفهوم؟»

«مفهوم يا سيدى.»

راقبا آدم وهو ينصرف فى خطوات ثقيلة متعبة متجها إلى المنزل التفت كينيث ناحية ليزا وتأملها فى عناية وهو يقول:

«إنه هو... أليس كذلك؟»

انتفضت ليزا من مكانها:

« من الأفضل لك ألا تبقيه منتظرا. إن مزاجه لم يكن جيدا طوال اليومين الماضين.»

كان الصغيران يختلسان النظر بين النينة والأخرى إلى عمهما وقد اكتسى نظراتهما بأسى عميق وبدا خانعين على نحو غريب...

كانت ايريكا تراقب الصغيرين بدورها.. إنها تفعل ذلك منذ لفتت ليزا انتباهها إلى هذا الموضوع ولكن عندما التفتت عيناها بعنيى ليزا هزت لها رأسها تشير إليها بوضوح أن الأوان لم يحن بعد...

رفع آدم رأسه فجأة فارتبكت أمه وأسرعت تحمل طبق السلاطة وتعرضها عليه وعلى ليزا فرفضا...

«وانت يا جوش وانت يا كيت... هل تريدان المزيد من السلاطة؟»

هز الصغيران رأسيهما نفيا وقبل أن تستطيع ليزا أن توجههما إلى التصرف اللائق وجدت آدم يزجرهما قائلا...

«أين الأدب؟.. هل هذه الاجابة من الذوق؟!»

انكمشا فى مقعديهما وهما يجيبان فى عجل:

«لا. شكرا لك يا ستو.»

أومأ آدم برأسه ايماءة مقتضبة مظهرا رضاءه لكن ظل الصغيران يرتعدان خوفا وارتجفت شفتاهما مما جعل ليزا تصمم على مفاتحته فى الموضوع. نعم ستكلم آدم لكن ليس الآن، فالآن عليها أن تصعد بالصغيرين إلى غرفتيهما لينالا قسطهما من القيلولة.

خرجت ليزا تتريض قليلا كعادتها بعد تناول العشاء. كانت ساقها قد تحسنت كثيرا منذ وصولها إلى المزرعة لكن... لم تكن ساقها هى ما يشغل بالها ساعتها... انه آدم فاندلبير وعلاقته بطفلى أخيه... هل سيتقبل اى نصيحة قد توجهها إليه؟! أم سيظل كعادته؟!

انبرى لها رولف فجأة من تحت ظلال الأشجار فأخذت تداعبه وتربت على رأسه ولكنها ما لبث أن رأت من كانت تفكر فيه يتجسد بشخصه أمام عينيها...

www.elromancia.com

«يجب ألا نسمح لفتاة بأن تحلم بمفردها فى ضوء القمر.»

«لم أكن أحلم.»

«لقد قطعت عليك حديثا هاما للغاية هذا الصباح مع كينيث رودمان. ربما كنت تفكرين فيه الآن؟»

«لم تكن نناقش اى شئ مهم انا وكين. وما كنت افكر الآن سوى فى جوش وكيت.»

«هه؟!»

اشتعلت نفسها غضبا من سخريته لكنها كانت تعلم أن عليها أن تقترب من الموضوع فى حذر لو كانت تريد أن تنجح فيما تصبوا إليه. هل يجب أن تخبره الآن؟ أم يجب عليها الانتظار قليلا؟

أخرج غليونه ووضعه فى فمه وأخذ يسحب انفاسا عميقة من الدخان وقد وضع يديه فى جيب سرواله... كان يبدو فى هيئته تلك جامدا، صخريا، صعب المنال!! فهل تجرؤ على مفاتحته فى شئ ليس من شانها بالمرة؟

لاحظ انها صامتة فبادرها فى تفكير يقول:

«لقد صمت فجاة يا ليزا... ترى ما السبب؟»

استجمعت ليزا ما لديها من شجاعة...

«آدم، أعلم... أعلم انك... انك كنت مشغولا للغاية فى الأيام الماضية

ولكن...»

«ولكن ماذا؟»

ابتلعت ريقها وهى تكمل:

«أعتقد أنك يجب أن تعلم أن الصغيرين يشعران أنك لا تحبهما.»

دوى صوته مرعدا وهو يجيبها فى غضب:

«كلام فارغ!!» وصمت برهة واستند إلى جذع شجرة ثم أردف وهو ينفث دخان غليونه فى غضب:

«... اعترف اننى لم أكن مرتاحا فى البداية للانقلاب الذى حدث فى نظام حياتى لكنهما طفلى أخى... وانا ولى أمرهما.»

أجابته فى هدوء:

«وهما يتقبلان فكرة أن تكون عمهما وولى أمرهما لكنهما يحتاجان إلى ما هو أكثر من ذلك...» صمتت برهة ثم أردفت حينما لاحظت تساؤلات عينيه...

«... يحتاجان لأن يشعرا بأنك تحبهما.»

سألها فى سخرية وتهكم:

«هه؟! وما الذى يجب على أن افعل فى هذا الخصوص؟ أن أعلق على صدرى لافتة تقول اننى احبهما؟ أم أنشر اعلانا فى إحدى الجرائد؟»

www.elromancia.com

«لست أقترح أيا من ذلك...»

وترددت ليزا برهة وهى تظن أنه من الأفضل ألا تتابع فى مثل هذه الظروف... لكن ما لمحته فى عينيه من إلحاح ونفاذ صبر جعلها تكمل...

«... حاول أن تقضى معهما وقت أطول من ذلك قليلا... ومن ثم سيتعرفان عليك وسيتعودان على طباعك... ويدركان أنك لست مجرد عم متسلط وولى أمر وحسب وانما أيضا شخص يهتم بهما ويحبهما. وعندما تفعل ذلك ستسير الأمور بشكل طبيعى.»

«هل هذا رأيك؟»

«بل أنا على يقين من ذلك.»

١٠- ابنة المدينة المدللة

أخذت السماء تمطر دون توقف طيلة الأيام القلية التالية وكان ذلك غريبا على هضاب الكارو التى دبت فيها الروح من جديد وتلألأت فيها خضرة يانعة أخذت بلب ليزا كل مأخذ... تماما كما حذرتها ايريكا فاندلبير من قبل.

مع ذلك لم يكن ذلك ليمثل أى فارق فى عينى ليزا التى ستضطر فى النهاية إلى مغادرة «فيرفيو» عائدة إلى المدينة... لكن ما كان يؤلمها أكثر من ذلك هو أنها صارت خانعة ذليلة كلما واجهت آدم بعد تلك الليلة التى صفعته فيها بكل غباء... وعلى كل.. فقد تغير موقفه تجاه الصغيرين قليلا وبعث فيها ذلك شيئا من الفرح وجدت فيه شيئا من التعويض عن المهانة التى وصلت إليها...

فى البداية تعامل معه الأطفال فى حذر وترقب... ولكن مع اقتراب أعياد الميلاد أخذوا يناقشون موضوع الهدايا التى يود كل منهما أن يحصل عليها فى تلك المناسبة، كانوا حينها يتناولون شاى الظهيرة فى

www.elromancia.com

الحديقة يوم أحد... لم يستطع جوش وكيت أن يتفقا على رأى عندما سألتهما جدتهما عن الهدايا التى يرغبان فيها ووصل الأمر بينهما إلى حافة الشجار. عندما قرر آدم التدخل فى الحديث،

«ما رأيكما بفرس صغير؟!

حدق فيه زوجان من العيون البنية فى ريبة وتشكك.

«فرس صغير؟» سأله جوش فى تردد... «فرس صغير حقيقى؟!»

«نعم. فرس صغير حقيقى.» مد آدم ساقيه أمامه واسترخى فى مقعده وسحب نفسا عميقا من غليونه وتابع قائلا،

«... فرس لك... وآخر للأمورة كيت.. لتتعلما كلاكما ركوب الخيل.»

حبست ليزا أنفاسها فى ترقب وقلق... ها هو يتخذ خطوة هائلة فى الاتجاه الصحيح... لكن الباقى يتوقف على رد فعل الصغيرين تجاهه!!

قطعت كيت الصمت الذى ران على الجميع قائلة،

«هل تعنى ذلك حقا يا عمو؟!»

«وهل تعوت أن أقول شيئا لا أعنيه يا حبيبتى؟!»

«لا... لا أعتقد...»

ثم سأله جوش: «هل ستعلمنا كيف نركب على الحصان يا عمو؟!»

ساد الصمت لوهلة ثم انزلقت ابتسامة على ملامح آدم الصخرية فأذابت بعضا من جودها...

«لو تصرفتم بشكل جيد... نعم.»

صاح الصغيران فى آن واحد: «هيه!!»

أخيرا تنفست «ليزا» الصعداء!! ها هو الجليد يذوب أخيرا!! وها هما يقفزان إلى حجر عمهما ويتقافزان حوله يحتضنانه ويقبلانه... وتبادلت ليزا ابتسامة ارتياح مع ايريكا فاندلبير!! بدا وكأن المستحيل يوشك أن يحقق وكأن الشمس قد ازدادت بهاءا و اشراقا فى ذلك النهار وهم يجلسون تحت شجرة البلوط العتيقة!!!

جلست ليزا برهة وهى لا تستطيع أن تستوعب ما تراه أمامها.. معقول!! هل هذا هو آدم الذى يطوى الصغيرين تحت جناحيه باسم الثغر مشرق الوجه وقد لافرجت أساريره وبدا عليه الاستمتاع باللهو ومداعبتها؟!! بدا كل ذلك عجيبا فى عينى «ليزا» ولكن... كان ذلك فى غاية المراد!!! لم يكن فى تصرفات آدم أى افتعال أو تكلف ورنت ليزا إليه بعينين شاردتين فرأته وهو يجلس القرفصاء وقد احتضن ولديه «وويللا» إلى جواره باسمة لاهية... مع أطفالهما... ذوى الشعر الأسود مثل شعر آدم والعيون الخضراء كعينى «ويللا.»

عند ذلك حجبت غمامة من الألم ناظرى ليزا وأخذت الغيرة تفترس كيانها... الغيرة التى لم تكن تعرف ما هى من قبل!! وحاولت انتزاع

www.elromancia.com

نفسها من هذه التاملات الحزينة بالتركيز على الحوار الدائر...

«عمو آدم... انت أجمل عم فى الدنيا كلها..»

قالتها كيت فى خجل وطبعت قبلة على وجنته فارتفع حاجباه الكثيفان دهشة وأجابها:

«لا أعرف كيف أكون أجمل عم فى الدنيا كلها... لأننى كنت بحاجة لمن يخبرنى ويلفت انتباهى اننى لم أكن بالعم الصالح فى الماضى القريب.»

ووجه نظراته نحو عينى ليزا التى أدركت بغريزتها انه يشكرها بهذه الطريقة... لكنها رأت كذلك فى هاتين العينين شيئا آخر حاولت الامساك به دون جدوى حتى بعد أن خفض ناظريه عنها محدقا فى الصغيرين مرة أخرى قائلا:

«هيه... ما رأيكم فى اللهو قليلا فى حمام السباحة؟!»

قفز الصغيران فى فرح إلى حجره وهما يصيحان فى نفس واحد:

«هيا... هيا... لنذهب ونبدل ملابسنا!!!»

سألته ايريكا وهو ينهض بالصغيرين:

«أعتقد أن ويللا جاكسون تنتظرك هذا المساء..»

هز كتفيه دون مبالاة وهو يجيبها:

«سأتصل بها وأخبرها أننى لن أستطيع.» وخطا مسرعا نحو المنزل.

ألمحت ايريكا فى خبث قائلة:

«أعتقد أن ذلك سيضايق ويللا كثيرا..» كان آدم قد ابتعد عن مدى صوتها..«نحن نعرفها منذ كانت طفلة.. لكنها بدأت تتصرف مؤخرا وكأنها ترى فى ادم أحد ممتلكاتها، لذا لن تغفر له بسهولة اهماله لها بسبب اهتمامه بالصغيرين.»

قبل عيد الميلاد بأسبوعين استدعى ادم ليزا إلى مكتبه... أسرعت ليزا إليه ذات مساء وهى تتساءل ما الذى يمكن أن يريدها من أجله؟!

«لقد دعوت أمك وخالتك ليقضيا عدة أسابيع فى أعياد الميلاد وأعياد رأس السنة... معنا هنا فى المزرعة.» قالها فى هدوء وهو يستند إلى كرسيه وينفث دخان غليونه فى بطء عجيب.

هبت ليزا واقفة فى مقعدها:

«دعوت من؟!!»

«لقد سمعتنى بوضوح.»

«لماذا؟!» سألته دون أن تحاول أن تخفى انزعاجها... «لماذا دعوتهما؟»

«كان فى نيتنا أن نقضى عيد ميلاد هادئ للغاية ولكن... تقول أمى انها تشتاق لرؤية خالتك، ولذا اقترحت عليها أن تدعوها لقضاء الموسم معنا. كما قررت أنك قد تودين فى قضائه مع أمك هنا.»

حدقت فيه فى بلاهة غير قادرة على استيعاب الموقف:

www.elromancia.com

«لا... هل.. هل قبلنا الدعوة؟!»

«وصلنى خطاب هذا الصباح من أمك ومن خالتك. سيسرهما أن يأتيا وسيصلان الأسبوع القادم على ما استنتجت من الخطاب.»

«غير معقول!!»

«يبدو أنك لست سعيدة بما يكفى لسماع ذلك.» قالها فى هدوء وقد ضاقت حدقتا عينيه موجها نظراته النارية نحوها من خلف قناع الدخان...

«لا... لا أعرف شعورى الآن... أنا...»

عضت شفتيها وقبضت على يديها فى عنف وهما فى حجرها... وفجأة عرفت شعورها الحقيقى. إنها لا تريد حضور أمها وخالتها هنا لأنهما أقرب شخصين فى هذه الدنيا إليها ولن يفوتهما ملاحظة حالتها النفسية المزرية واكتشاف سرها الدفين.

لم تكن تريد أن يحدث ذلك لكن... فات الأوان لعمل أى شئ...

«كان شيئا... لطيفا منك أن دعوتهما...» أخيرا استطاعت أن تقول شيئا وقد خفضت رأسها على الأرض.

«عندما أفعل شيئا فأنا أفعله لغرض ما، وليس ارتجالا!!»

قالها فى هدوء وهب واقفا وركل الكرسى بقدمه فى عنف جعلها تقفز من مكانها فى ذعر...

«فما غرضك اذن من هذه الدعوة؟»

كان آدم يقف موليا ظهره لها وقد سرح بنظراته بعيدا عبر النافذة... صمت برهة دون أن يبدو وأنه قد سمع سؤالها... ولكنه استدار أخيرا وأجابها وهو يهز كتفيه دون اكتراث قائلا:

«يحب معظم الناس قضاء أعياد الميلاد مع أسرهم، وليس لدى سببا يدعونى لافتراض أنك تختلفين عن الآخرين.»

«انا فقد دعوتهما من أجلى؟»

لاحت ابتسامة على شفتيه لكنها تلاشت سريعا...

«ليس تماما.»

«انك تحيرنى..» حاولت أن تستشف ما يدور فى عقله دون جدوى.

«كل ما عليك فعله هو أن تتقبلى حقيقة قدوم أمك وخالتك هنا فى عيد الميلاد ودع الأمور تجرى كما هو مقدر لها.» قالها بنفاذ صبر اعتادت عليه...

حدقت فيه برهة وأحست أن اللحظة قد حانت لتبوح له بشئ حاولت كتمانه طويلا...

«هل... هل أنت فى عجلة لتستأنف ما كنت تفعل؟»

قالتها وهى تنظر نحو الأوراق الملقاة فوق المكتب.

استدار إلى الناحية التى تجلس عندها وجلس على طرف المكتب وهو

www.elromancia.com

يقول:

«ليس اذا كان هناك ما تودين مناقشته معى.»

ظل صامتا برهة فى انتظار أن تقول شيئا لكن عندما وجدت ذهنها خاليا صاح بها فى نفاذ صبر:

«ماذا؟ هل هو أمر صعب لدرجة انك لا تجدين شيئا تقولينه؟»

«أنا... أنا... لست أجده... أجده صعب... صعبا... أن أقو... أقول ما فى عقلى...»

قالت فى تردد وتلعثم وأحست بالم شديد فى معدتها وهى تتابع قائلة:

«... ليس ما أحاول أن أقوله هو الصعب... لكن لم تتح لى... لى الفرصة للكلام معك منذ... منذ تلك الليلة على انفراد. عندما تتأخر عما يجب عليك أن تفعله.. تصبح الأمور أصعب ولا تجد كلاما مناسبا... لكن»

شددت قبضة يديها المتشابكين فى حجرها ثم رفعت نظراتها المرتبكة إليه:

«أنا مدينة لك بالاعتذار يا آدم. أنا، ليست عادتى، صفع الناس على وجوههم.»

أصبحت الآن على شفا حفرة من البكاء فطأطأت رأسها وهى تضيف

فى صعوبة:

«أنا.. أنا آسفة.»

ساد الصمت بينهما برهة ثم سمعت آدم يقول فى هدوء:

«من المعتاد أن تصفع فتاة أى رجل يحاول اهانتها، كما أننى لم أكن أقصد أن أفعل ذلك فى البداية.»

همست ليزا قائلة:

«أعلم ذلك.»

«إن عينيك تسحرانى...» قالها بصوته الآتى من الأعماق والذى اهتزت له كل جوانحها..«هل تعلمين أن لونهما يتحول إلى اللون البنفسجى الغامق عندما تغضبين؟»

«أرجوك يا آدم... كفى!»

«ألم يخبرك أحد من قبل بذلك؟»

«لا.» قالتها وهى تتنهد وقد تهدج صوتها...

«إن «روى» هذا عديم النظر فعلا!!!»

حدقت فيه برهة فى صمت...

«يا إلهى!! عندما تنظرين لى بهذه الطريقة...!!»

فى الأسبوع التالى وصلت إلى «فيرفيو» «سيليا مورو» و«مولى أنستى»

www.elromancia.com

فى عصر أحد الأيام. وخرجت ليزا والتوأمين وايريكا لمقابلتها. حتى آدم كان فى استقبالهما وأدهش ليزا مدى الألفة والود الذى استقبل بها أمها وخالتها. أتى الخدم وحملوا حقائبهما وسار بهما آدم وايريكا إلى داخل المنزل وتبعتهم ليزا والتوأمين.

لاحظت ليزا أن آدم كان يتحدث مع أمها على منضدة الشاى بحميمية غريبة، حتى إنها أخذا يتهامسان وبدا آدم مستمتعا بالحديث حتى إنه لم يستطع إخفاء سروره فى بعض اللحظات. وبدأ أن هناك جوا من الألفة بين الاثنين وكأنما يعرفان أحدهما الآخر منذ وقت طويل. وحسدت ليزا أمها على ثقتها البالغة بنفسها.

«شئ رائع أن نكون هنا مرة أخرى يا ايريكا» قالت مولى فانصرف انتباه ليزا قليلا على آدم وأمها إلى خالتها التى أضافت...

«... أوه... مضى وقت طويل منذ آخر زيارة لنا هنا!!! إننى أشعر وكأننى كنت هنا بالأمس.»

«لقد كنا وابنة أخيك نتشاجر على من منا يأكل قشرة الخبز الطازجة أولا، ثم كنا ندهنها بالسمن الفلاحى... لكن ما زلت أذكر جيدا كيف كنا نخرج لصيد الأرانب على ظهر الخيل معا!!»

وضحت «مولى» وهى تستعيد ذكرياتها فى المزرعة وتابعت:

«... لا أعرف كيف لم نخرج أنفسنا أو نقع أثناء الصيد!!»

ابتسمت ايريكا وأجابتها:

«لقد كنتما أنت وبيجى شقيقتان فى تلك الأيام.»

«أخبرينى عن بيجى، لم أسمع منها شيئا منذ أن تزوجت ذلك الرجل النمساوى وسافرا للخارج.»

واندمجت السيدتان فى حديث الذكريات بينما التفت التوأمان إلى ليزا ولاحظت قلقهما البالغ فأخذتها للخارج...

«هل أمك مدرسة هى الأخرى؟» سألها جوش وهى تخرج بهما إلى أقرب معسكر ليشاهدا الأغنام وهى تدخل الحظيرة المخصصة لها لقضاء الليل بها..

«أمى؟! لا ليست مدرسة. بل خالتى هى مدرسة.» أجابتها ليزا وهى تحيطهما بذراعيها وهما يجلسان على سور البوابة لئلا يقعا.

«أنا أحب أمك يا ليزا... انها جميلة جدا ورائحتها جميلة أيضا!!»

«مثلك تماما يا ليزا.» أضاف جوش وهو يضع قبلة على وجنتها على نحو مفاجئ.

«أوه... شكرا... شكرا لكما. ستفرح أمى كثيرا عندما تعرف أنكما تحبانها.»

ضحكت ليزا فى جذل واحتضنت الصغيرين بحنان بالغ.

«ها هو عمو آدم.» صرخ جوش وأشار إلى عمه محييا فى فرح بالغ..

رفع آدم يده محييا وانطلق مبتعدا بجواده وقد أسدل قبعته فوق

عينيه بطريقته المميزة، ومضى تجاه تل صغير. لكن مزرعة جاكسون» تقع فى ذلك الاتجاه.. ترى إلى أيهما يمضى بهذه السرعة؟ نحو التل أم إلى المزرعة؟!!

«أوه متى سيأتى عيد الميلاد حتى نستطيع أن نركب الفرس ونمض مع عمو آدم عندما يذهب إلى المراعى؟!» قالها جوش وهو يتنهد فى صبر نافذ.

«لا تحزن يا حبيبى واصبر فان عيد الميلاد على الأبواب لكن... عليك أن تتعلم الركوب أولا انت وكيت.»

«سنتعلم بسرعة... بسرعة جدا.»

ضحكت ليزا من حماسهما البالغ... لكن ضحكتها كانت ضحكة جوفاء وأقرب إلى البكاء... عيد الميلاد على الأبواب... ها هى توشك أن ترحل وتغادر هذا المكان الذى عشقته من قلبها!! ستعود إلى حياتها الفارغة الكئيبة التى كانت تعيشها قبل أن تأتى الى هذه الجنة... إيه!! كم ستفقد التوأمين... ونزهاتها بعد الظهر وسط المروج الجميلة... ولحظات غروب الشمس بسحرها الذى يأخذ بالألباب.. وتلك الليالى الدافئة التى تتلألأ فيها النجوم كماسات جميلة فى فستان زفاف ناصع البياض!! لكن فوق كل هذا وذلك سوف تفتقده... سوف تفتقد آدم... وسيقتلها الحنين إليه... سيقتلها الحنين إلى ذلك الحب المستحيل... سوف تدفن نفسها فى العمل، تماما كما فعلت خالتها من قبل لكن... لتدع الله أن تكبر وتشيخ إلى أن تنسيها الأيام...

نزل الصغيران من على السور وانطلقا يتقافزان أمامها وتبعتهما ليزا... إن عرجتها قد خفت كثيرا حتى إنها أصبحت غير ملحوظة... حتى إن ندوبها هى الأخرى قد تضاءلت ولم تعد بذلك الوضوح التى كانت عليه من قبل... لكن ليس مظهرها وصحتها ما يشغل بالها الآن. انما هو... بسخريته وتهكمه وتقطب جبينه... وابتسامته الملتوية ورجولته الآسرة...

«لا! لا!! لا يجب أن أفكر فيه بهذه الطريقة!!» زجرت نفسها وهى تسرع فى مشيتها لتلحق بالصغيرين. إنه صاحب عملها ليس إلا ، إنه الرجل الذى وجد فيها تسلية ممتعة تعوض عنه غياب ويللا. نعم ما هو إلا محتال ومخادع...محتال؟ ربما! مخادع؟ ربما! لكن... يا لله!! فلتسمه ما شاءت من الأسماء، لا يهم.. هى فقط تحبه! ليكن ما يكون... فهى تحبه ولا تستطيع أن تمنع نفسها من حبه... حتى لو كان هو الشيطان فى صورة الإنسان!!

عندما نزلت ليزا إلى غرفة المعيشة وجدت الجميع بانتظارها فدخلت وحيتهم وأشار لها آدم بالجلوس فى المقعد المجاور له وصب لها كوبا من العصير أخذت ترتشفه وهى تحاول السيطرة على دقات قلبها التى أخذت تتسارع.

التفتت سيليا مورو إلى ابنتها وقالت:

«ليزا! يا حبيبتى.. لا أصدق!! أنت تبدين فى حال رائعة.. صحيح أنك لا زلت نحيفة لكن بشرتك أصبحت جميلة للغاية!!»

غمزت خالتها بطرف عينيها وهى تضيف قائلة:

«ألم أقل لكم إن هواء«الكارو» سيصنع بها الأعاجيب؟»

احمرت وجنتا ليزا خجلا وهى تجيبها قائلة:

«نعم قلت يا خالة مولى.»

التفتت مولى إلى آدم قائلة:

«تخيل!!! عندما اقترحت عليها المجئ هنا لأول مرة، لم تحتمل أن تستمع إلى كلامى...»

ازدادت وجنتا ليزا احمرار وهى ترى عمتها تتابع موجهة حديثها لآدم الذى بدا منصتا فى اهتمام:

«ولقد قالت حينها إن هذه المنطقة حارة جدا ومليئة بالغبار وأنها منطقة بدائية تليق بالفلاحين لا بفتاة من المدينة مثلها!!!»

لاحظت ليزا أن الجميع ينظرون إليها فحاولت التخلص من الموقف قائلة:

«إيه يا خالة... لا تذكرينى بمدى جهلى من فضلك.»

ضحكت النسوة الثلاث من قولها لكنها أحست أن عينى آدم متسلطتان عليها كحمم من اللهب...

١١- سوف أرحل

لأول مرة منذ قدومها إلى المزرعة تتاح لها الفرصة أمام ليزا للجلوس مع أمها فى الشرفة. بمفردهما. كانتا تتناولان الشاى ذات صباح وكانت السيدة فاندلبير ومولى قد استأذنا للبحث عن بعض الصور القديمة التى تخصهما.

«إن آدم هذا شخص لطيف للغاية... أليست معى فى ذلك؟»

فوجئت ليزا بالسؤال فارتجلت تجيبها:

«أعتقد ذلك. نعم. نعم.»

«كان لطيفا منه أن يكتب الى ويدعونى هنا.»

«نعم... هذا صحيح». !! قالتها ليزا فى ابتسامة ساخرة وهى تترجع فى ذهنها كلام آدم: لا أفعل شيئا قط لله! إنما أفعل ما أفعله لغرض ما!» نعم غرض لما تعرفه بعد!!

«هل الأمور بينكما على ما يرام؟»

أجابتها ليزا وقد أدركت أنها لا بد أن تأخذ حذرها:

www.elromancia.com

«نعم على ما يرام.»

«يبدو أنه شخص يعتمد عليه.. وليس أبدا من ذلك النوع الذى يتخلى عنك وقت الشدة.»

إنها تعرف طباع أمها جيدا.. إن هذه الملاحظة التى تبدو عابرة تخفى وراءها فضولا كبيرا... وقررت أن تتكلم معها بصراحة كما اعتادت أن تفعل قبل أن يدخل «روى فيليبس» الى عالمها ويخرج منه...

«غير معقول يا أماه! إنك شفافة مثل السيلوفان!!

سألتها «سيليا مورو» وهى تحاول أن تخفى ما بداخلها،

«حقا؟»

«إنك تحاولين ان تستدرجينى لتعلمى حقيقة مشاعرى تجاه آدم فانديير، لكنك تضيعين وقتك سدى.»

احمرت وجنتا أمها قليلا وأسرعت تجيبها،

«لقد كنت فقط أتساءل ما...»

«لا يا أماه لا تتساءلى...» قاطعتها ليزا وهى تضغط على الألم الذى بدا يتجمع بداخلها كى لا يفيض ويفضحها أمام أمها...

«... آدم فانديير هو صاحب المكان الذى أعمل به وليس بيننا شئ مشترك، لذا فلا تحاولى أن تتخيلى اننى احمل له عاطفة من أى نوع.»

احتدت أمها قائلة،

«لم أتخيل أيا كان... لكن لأننى أمك فمن الطبيعى أن يهمنى

مستقبلك، وأتمنى أن أرك مستقرة مع شخص لطيف وقادر على تحمل المسؤولية.»

ابتسمت ليزا واهنة،

«أنا متأكدة من ذلك يا أماه ولكن... «ذلك الشخص اللطيف الذى يتحمل المسؤولية، لن يكون هو آدم فانديير.»

«اذا فهو لا يعجبك؟»

أجابتها ليزا وهى تواجه نظراتها فى ثبات،

«سواء أعجبنى ام لا فلن يغير الأمر شيئا. فهو صاحب العمل وأنا أحترمه لأنه صاحب العمل.»

حدقت «سيليا مورو» فيها برهة وقد بدت خيبة الأمل على وجهها، لكن اندفع الصغيران من زاوية المنزل ليهجما على ما تبقى من الكعك، أشارت سيليا إلى ابنتها قائلة،

«أعتقد أننى فى حاجة لفنجان آخر من الشاى... لو لم يكن عندك مانع.»

لم تفاتحها أمها فى ذلك الموضوع مرة أخرى طوال اليومين السابقين على الكريسماس لكن ليزا كانت تحس بأنها مراقبة فى كل حركاتها وسكناتها. كانت قد عملت تفادى آدم ما استطاعت واشغلت نفسها بالصغيرين فى لهوهما ولعبهما واعدادهما لشجرة عيد الميلاد فى غرفة المعيشة.

تبادل الجميع الهدايا عشية عيد الميلاد وأحست ليزا بمسحة من الحزن

www.elromancia.com

تعترى آل فاندلبير رغم المرح والسرور البادى على وجوههم... إنه اول عيد يمر عليهم منذ وفاة جاك» وزوجته... فى مثل هذا الوقت من العام الماضى كانوا جميعا هنا يحتفلون معا... نظرت ليزا إلى الصغيرين بعينين دامعتين وهما يلهوان على السجادة بجوارها... لكنها سرعان ما مسحت دموعها دون أن يلحظها أى منهما... وكانا فى غاية الفرح لأن عمهما أذن لهما فى البقاء مستيقظين لفترة أطول من المعتاد وعندما دقت الساعة التاسعة... نظر آدم إليهما نظرة تذكير بأن أوان النوم قد حان...

ساله جوش وهو يغالب النعاس قائلا:

«هل يمكن أن نبقى معكم قليلا يا عمو؟!»

«لو لم تذهبا إلى فراشكما الآن فستصبحو غدا مرهقين ولن تستطيعا ركوب الخيل معى... وقد نؤجله إلى ما بعد؟!»

وفى الحال طار الصغيران إلى غرفتهما وتبعتهما ليزا وادخلتهما كلا منهما فراشه وظلت بجوارهما حتى راحا فى سبات عميق. لم تكن تود النزول مرة أخرى.. صحيح أنه شئ جميل أن تكون أمها وخالتها معها فى مثل هذه المناسبة، لكنها يعرفانها جيدا ومن السهل عليهما اكتشاف الأزمة التى تمر بها. صحيح أنها طالما ناقشت معهما أخص خصوصياتها لكن آدم شئ مختلف، مختلف تماما، مختلف لدرجة أنها لا تبوح بحبها له لأى شخص، حتى ولو كان أمها!!

ليس هناك بد من النزول. أطفأت النور وغادرت الغرفة وفى طريقها اصطدمت بشخص ما. كاد قلبها ينخلع من مكانه عندما ميزت قامة آدم الفارعة وبيانه القوى فى هذا الظلام الدامس...

«جئت لأرى ما الذى أخرك هكذا...»

ابتلعت ريقها فى صعوبة وهى تجيبه:

«لقد جلست حتى استغرقا فى النوم...»

كانت رائحة التبغ من سيجارته ورائحة المروج الملتصقة بثيابه مع أريج معجون الحلاقة التى تفوح جميعا منه قد أثارت حواسها جميعا وجعلتها تصاب بما يشبه الدوار...

«... لم... أعتقد أن غيابى سيهم أحدا.»

أجابها فى هدوء:

«لكنه يهمنى أنا... لم تتح لى الفرصة بعد حتى أشكرك على الهدية التى أحضرتها لى...»

قال هذا فى سرعة ثم تركها وانصرف وهو يقول:

«جئت فقط للتعبير عن شكرى لك... والآن لننزل وإلا سيلحق بنا الجميع!!»

تبعته فى استسلام وعندما وصلا إلى غرفة المعيشة كان النسوة الثلاث منهمكات فى الحديث فلم ينظر إليهما إلا نظرة عابرة...

«المزيد من العصائر سيداتى؟» قالها آدم وأسرع يملأ لهم الأكواب

أخذت ليزا ترتشف كوبها وتتأمل أمها فى هدوء... كانت تبدو على أمها أمارات السعادة رغم أن الخمس سنوات الماضية لم تكن سهلة على هذه الأم الحنون منذ أن توفى والدها لم يكن لديها ما يؤمن حياتها وكان لا

www.elromancia.com

يزال أما ليزا سنتان حتى تنهى دراستها الجامعية لذا اضطرت والدتها للبحث عن عمل. كانت الأم قد أوشكت تنسى كل شئ عن الكتابة على الآلة الكاتبة بعد تلك السنين التى قضتها كأم وربة منزل، لكنها رغم ذلك استطاعت أن تجد عملا ككاتبة وموظفة فى أحد متاجر الملابس. باعا المنزل وأصبح لديهما ما يعينهما وقت الشدة على الأقل. الآن لم تعد الأم فى حاجة للعمل لكنها ظلت رغم ذلك تعمل فى المتجر.

«الجو حار هنا.» قالها آدم قاطعا عليها حبل أفكارها...

«.. ما رأيك أن نخرج إلى الشرفة؟»

ترددت ليزا فمال آدم عليها وهمس قائلا:

«هيا لا تخافى إلى هذه الدرجة.»

«لست خائفة.»

«انا.. أثبتى ذلك.» قالها فى تحد ومد يده إليها. حدقت برهة فى هذه اليد القوية ثم وضعت يدها فى يده وقد تقلصت عضلات معدتها، وتركته يجذبها لتقف...

«فقط استنشقى هذا الهواء.»

قالها وهو يستنشق فى عمق وقد خرجا معا إلى الشرفة

«هل ستفقدين هذا الجو عندما تعودين إلى المدينة؟»

«بكل تأكيد سأفتقده كثيرا...»

لم تملك أن تمنع نفسها من تأمل النجوم وهى تتلألأ فى بهاء فى تلك

السماء المخملية الناعمة...

«تستطيعين البقاء هنا كما تعلمين.»

سألته فى تهكم:

«بأى صفة؟ كعاملة فى المزرعة؟»

ضحك ضحكة قصيرة وهو يجيبها:

«ربما... لكن عندى وظيفة أخرى لك... وظيفة مجزية وممتعة اكثر من ذلك كثيرا...»

ارتدت نظراتها فى سرعة من السماء لتقع عليه وهو يجلس فى هدوء واسترخاء فى مقعده... لكنها كانت تعلم أن كل عضلة فى هذا البدن الضخم قادرة على الايذاء والبطش...

أجابته فجأة:

«لا أريد أن أعلم ما هى... شكرا لك.»

«ألست متشوقة قليلا حتى لمعرفة ما هى؟»

«لا. لست متشوقة ذلك.»

أجابها وهو يستدير ناحيتها بكرسيه لكى يستطيع رؤية وجهها على نحو أفضل:

«خسارة!! لقد كنت متأكدا جدا من أن الأمر يهمك!!»

شددت قبضتها فى حجرها ونظرت إليه قائلة:

www.elromancia.com

«لدى شعور بأنك تهزأ بى يا آدم.»

«فقط أغيظك يا صغيرتى، لا أهزأ بك.»

«ولماذا تريد أن تغيظنى؟»

«لكى أخرجك من هذه القوقعة التى دفنت نفسك فيها. لقد تقوقعت على نفسك مؤخرا لدرجة اننى أصبحت أشعر باليأس من أجلك.»

«لست فى حاجة لأن تشغل بالك ببالى. أنا مرتاحة فى هذه القوقعة وأنا سعيدة جدا، شكرا لك.»

«هل أنت سعيدة حقا يا ليزا؟»

سألها فى هدوء وصوت خافت جعلها تحس بأنها تريد أن تصرخ قائلة: «لا.. لا لست سعيدة بالمرة»...

لكنها بدلا من ذلك أجابته:

«أنا سعيدة كما يود أى شخص أن يكون.»

«تتكلمين مثل العوانس.»

جلجلت ضحكتها على نحو مفاجئ وهى تقول:

«أعتقد ذلك.»

مال بكرسيه ناحيتها وقال لها بصوت دافئ:

«لن تصبحى عانسا أبدا يا ليزا، ولا تبدو تلك المرارة مناسبة لهذا الثغر الجميل الذى لم يخلق سوى للابتسام.»

انكمشت منه وأجابته:

«أتمنى ألا تقول مثل هذه الأشياء.»

انفجر فيها قائلا:

«يا ربى!! إننى أتمنى أن افعل أشياء مثل هذه معك أكثر مما أقولها!! أود لو أختطفك لأنقذك من هذه القوقعة التى دفنت نفسك فيها وأعيدك ثانية متفجرة بالحيوية والأمل كما كنت.»

هبت واقفة على قدميها وصرخت فيه: «آدم!!»

أجابها فى هدوء: «اجلسى.»

لكنها أرادت أن تلجأ إلى غرفة المعيشة حيث ستشعر هناك بالأمن أكثر منها معه...

«أعتقد...»

«قلت اجلسى!!» أمرها فى لهجة خشنة فأطاعته على مضض...

«أتمنى أن أعرف لماذا تغضبين بهذه السرعة...» قالها بلطف بالغ.

«ليس لك الحق فى أن تخاطبنى بهذه اللهجة وبهذا الكلام.»

«قلت لى ذلك من قبل وأريد أن أعرف لماذا تشعرين بأننى ليس لى الحق فى مخاطبتك بهذه الطريقة.»

«لأنك خطيب ويللا.» كادت الكلمات تقفز من بين شفتيها لكنها تمالكت نفسها وقالت بدلا من ذلك:

www.elromancia.com

«لدى شعور بانك تهزأ بى يا آدم.»

«فقط أغيظك يا صغيرتى، لا أهزأ بك.»

«ولماذا تريد أن تغيظنى؟»

«لكى أخرجك من هذه القوقعة التى دفنت نفسك فيها. لقد تقوقعت على نفسك مؤخرا لدرجة أننى أصبحت أشعر باليأس من أجلك.»

«لست فى حاجة لأن تشغل بالك ببالى. أنا مرتاحة فى هذه القوقعة وأنا سعيدة جدا، شكرا لك.»

«هل أنت سعيدة حقا يا ليزا؟»

سألها فى هدوء وصوت خافت جعلها تحس بأنها تريد أن تصرخ قائلة: «لا.. لا لست سعيدة بالمرة»...

لكنها بدلا من ذلك أجابته:

«أنا سعيدة كما يود أى شخص أن يكون.»

«تتكلمين مثل العوانس.»

جلجلت ضحكتها على نحو مفاجئ وهى تقول:

«أعتقد ذلك.»

مال بكرسيه ناحيتها وقال لها بصوت دافئ:

«لن تصبحى عانسا أبدا يا ليزا، ولا تبدو تلك المرارة مناسبة لهذا الثغر الجميل الذى لم يخلق سوى للابتسام.»

انكمشت منه وأجابته:

«أتمنى ألا تقول مثل هذه الأشياء.»

انفجر فيها قائلا:

«يا ربى!! إننى أتمنى أن افعل اشياء مثل هذه معك أكثر مما أقولها!! أود لو أختطفك لأنقذك من هذه القوقعة التى دفنت نفسك فيها وأعيدك ثانية متفجرة بالحيوية والأمل كما كنت.»

هبت واقفة على قدميها وصرخت فيه: «آدم!!»

أجابها فى هدوء: «اجلسى.»

لكنها أرادت أن تلجأ إلى غرفة المعيشة حيث ستشعر هناك بالأمن اكثر منها معه...

«أعتقد...»

«قلت اجلسى!!» أمرها فى لهجة خشنة فأطاعته على مضض...

«أتمنى أن أعرف لماذا تغضبين بهذه السرعة...» قالها بلطف بالغ.

«ليس لك الحق فى أن تخاطبنى بهذه اللهجة وبهذا الكلام.»

«قلت لى ذلك من قبل وأريد أن اعرف لماذا تشعرين بأننى ليس لى الحق فى مخاطبتك بهذه الطريقة.»

«لأنك خطيب وبللا.» كادت الكلمات تقفز من بين شفتيها لكنها تمالكت نفسها وقالت بدلا من ذلك:

www.elromancia.com

«لأنك صاحب العمل.»

«ألهذا السبب فقط؟»

خفق قلبها فى سرعة وعنف وخشيت أن تفضحها مشاعرها فلجأت إلى التظاهر بالغضب...

«هل يجب أن نكمل هذا التحقيق؟»

«لا تجيبى على سؤالى بسؤال آخر.»

«لماذا تلح هكذا؟»

«لأننى أحاول أن أعرف لماذا تسرعين بالهروب من أمامى كلما حاولت الكلام معك بصراحة.

ازدردت لعابها بصعوبة وتمالكت نفسها وهى تجيبه:

«أنت تتوهم ذلك».

«أيتها الكذابة الصغيرة؟»

قال فى هدوء:

«إن عقلى يأمرنى أن أؤكد لك الآن مدى كذبك لكننى أعلم أن ذلك قد يتسبب فى صدمة قد لا تشفين منها أبدا.»

ارتعدت فرائص ليزا من كلامه. هل سينفذ تهديداته، أم هى مجرد تهديدات؟

وحاولت أن تقطع الصمت قليلا...

«ألا تعتقد أن هذا الحوار قد طال قليلا؟»

«معك حق... لقد طال أكثر من اللازم... أكثر جدا من اللازم.»

بعد قليل عادا الى غرفة المعيشة واستأذنت ليزا متذرعة بصداع فى رأسها وصعدت إلى غرفتها لتنام.

حاولت ألا تفكر فيما دار بينها وبين آدم لكن... هيهات!! كانت الأسئلة تعصف بعقلها... لماذا يتعمد دائما اعتراض طريقها وايذاءها؟ لماذا لا يتركها وشأنها؟ لماذا يطاردها وهو مرتبط بويللا عمليا؟

حاولت دون جدوى أن تفسر تصرفات آدم معها... لكنها كانت تدور فى دائرة مفرغة.

استيقظت ليزا صباح عيد الميلاد على صوت الصغيرين وهما يندفعان فى صخب إلى غرفتها...

«هيا. هيا... لنرتدى ثيابنا بسرعة. نريد أن نذهب لنرى إن كان الفرسان قد أحضرا.»

«اذا اخرجا حتى أرتدى ملابس الحق بكما.»

أسرعا بالخروج وصفقا الباب وراءهما بعنف دون قصد.

عندما اقتربت ليزا مع الصغيرين من أحد الاسطبلات رأوا فرسين صغيرين يرعيان فى هدوء وما إن رأيا ليزا والصغار حتى رفعا رأسيهما وأخذ يهزانها فى فخر ودلال...

www.elromancia.com

«أووووه!!! الله... إنهما جميلان جدا جدا!!»

صاح الصغيران معا وابتعد الفرسان قليلا فى خوف... «هل نستطيع أن نركبهما الآن؟»

أجابتهما ليزا فى حزم:

«ليس قبل أن يأتى عمكما.»

«أنا هنا!!»

جلجل صوت آدم فالتفتت ليزا وراته مقبلا نحوهم ووراءه «بيتروس» حاملا معه سرجين صغيرين. ألقى عليها نظرة عابرة وسأل الصغيران:

«هيه... هل أنتما مستعدان لتلقى أول دروسكما؟»

«نعم نعم... هل نستطيع مساعدة «بيتروس» فى تركيب السرجين؟!»

«اذا شئتما ولكن... كونا حريصين.»

أسرع الصغيران نحو بيتروس ليساعدانه واقترب آدم من ليزا ومال بجانب أذنها هامسا:

«اليوم عيد الميلاد هل. هل نعقد هدنة؟» ومد يده إليها مصافحا...

أجابته دون تردد:

«طبعا... طبعا.» واختفت يدها الصغيرة فى يده.

بدا السرور على وجهه وأضاف:

«لكن... هل نستطيع أن نحافظ على هذا الهدنة ليوم... واحد... كامل؟»

تألقت عينا ليزا فى جذل وهى تجيبه:

«من جانبى سأحاول... وأنت؟»

رد قائلا:

«أستطيع أن أفعل أى شئ يا صغيرتى عندما تنظرين إلى هكذا وتبتسمين بهذه العذوبة.»

أحست ليزا بوجنتها تلتهبان فتفادت نظراته قائلة:

«أعتقد أن الأولاد يتحرقان شوقا للحاقك بهما.»

«وأنا كذلك يا ليزا.» قالها وهو يبتسم فى خبث وهو يقفز إلى داخل الاسطبل مضيفا...

تأملته فى ذهول وهو يخطو خطواته الواسعة ليلحق بالصغيرين... ماذا يقصد؟ ربما كان يقصد أنه لا يطيق صبرا لتحديد موعد زفافه ببويللا؟ انطلقت سهام الألم تشق قلبها... لن تفهم آدم هذا أبدا!!! مهما حاولت!!

أبدى آدم صبرا عجيبا مع الصغيرين وهو يعلمهما أول دروس الركوب. وأحست ليزا أن الشمس تكاد تخنقها بحرارتها عندما وجدت خالتها تتجه نحوها وكانت قد أتبعها الحر بدورها.. فاقترحت عليها ليزا أن يأويا إلى ظل أحد الأشجار.

www.elromancia.com

«أعتقد أننا يجب أن نجلس هنا أو هناك... أحس وكأننى كنت أكدح لساعات فى هذه الحقول العارية.»

«هناك مقعد تحت هذه الأشجار...»

جلستا على المقعد فتنهدت خالتها بعد قليل قائلة:

«هذا أفضل قليلا... أوه... إن قدماى تكاد ان تقتلاننى!!!»

«هل أمى ما زالت نائمة؟» سألتها ليزا وهى تجلس إلى جوارها...

ابتسمت مولى فى خبث:

«المسكينة!! لقد تسللت من جوارها وارتديت ثيابى وأسرعت أستنشق هواء الصباح المنعش!! يا له من صباح رائع!»

وأغلقت عينيها وسحبت نفسا عميقا وأضافت:

«للأسف... لا أستطيع أن أنال كفايتى منه.»

«سيكون يوما طويلا حارا وسنبدأ فى التنزه قبل أن ترتفع الشمس أكثر من ذلك.»

تأوهت خالتها قائلة:

«أووه... لا تذكرينى...» وخلعت وشاحها من على رأسها وطوقت به عنقها وهى تضيف

«المكان يروق لك هنا، أليس كذلك.»

كان تقريرا أكثر منه سؤالا فابتسمت ليزا وهى تجيبها:

«نعم ليس الجو مترببا هنا بالقدر الذى تخيلته ذات مرة، وأنا أحب المكان جدا.»

«أستطيع ان أقول إننى لاحظت ذلك.» وقهقهت مولى:

«لابد أنك أحببت رؤية هذه العضلات الرائعة المفتولة وهذه الرجولة المتفجرة التى تجعل قلب أى امرأة يتلوى كالذبيح عندما يراه. إن قلبى يفعل ذلك كلما رأيت آدم هذا!!»

صرخت فيها ليزا مصدومة:

«خالتى مولى!!»

هزت مولى رأسها فى عناد وهى تواجه ليزا بنظراتها الخبيثة:

«أنا جادة فى ذلك.. لو كنت أصغر بعشرين عاما يا صغيرتى ما كنت استطعت أن تفوزى به دونى.»

ابتسمت ليزا فى توتر وهى تربت على طرف قميصها قائلة:

«ما الذى يجعلك تظنين أننى سوف أريد أن أفوز به؟!»

«حقا؟! إذا ما هذه النظرات التى ترمينه بها كلما وقع بصرك عليه؟!»

«ماذا؟»

هكذا إذا!! رغم كل محاولاتها لإخفاء مشاعرها فقد كشفتها خالتها بكل سهولة!!! توردت وجنتا ليزا خجلا وما لبث خالتها عندما لاحظت ذلك أن أضافت فى زهو:

www.elromancia.com

«إنك تحبينه، أليس كذلك؟»

أجابتها فى عدائية واضحة:

«ليس هو إلا صاحب عملى يا خالة مولى.» وهبت واقفة وكأنما تريد الانصراف..

«وبعد يا ليزا!» انفجرت فيها مولى فى غضب وأخذت تدق على المقعد مشيرة لها بالجلوس وهى تقول:

«هيا!! تعالى اجلسى وكفى عن قلقك وعصبيتك تلك.»

«لا. لابد أن أذهب لألقى نظرة على الأولاد وأرى كيف يسير درس الركوب.»

«آدم يتولى أمرهما الآن بعناية بالغة، وهو يستطيع مراعاتهما لبعض الوقت...»

وتأملتها بعينيها الرماديتين وهى تجلس مرة أخرى على المقعد بجوارها وأضافت...

«إنك تحبينه، أليس كذلك؟»

تفادت ليزا السؤال وأجابتها:

«إننى أحترمه وأقدره.»

«يجب أن تحبى وتقدرى الرجل الذى تحبينه.» قالتها مولى وملامح الرضا بادرة على قسمات وجهها النحيل... لجأت ليزا للغضب كما اعتادت أن تفعل كثيرا فى الفترة الأخيرة.

«أوه يا خالة!! ليتك يا خالة أنت وآدم لا تحاولان اختلاق شئ من علاقتى بآدم فاندلبير... إنه صاحب عملى وهذا كل ما فى الأمر.»

ابتسمت مولى أنستى» ابتسامة الواثقة:

«هل تتوقعين منى أن أصدق ذلك؟»

تنهدت ليزا فى استسلام قائلة:

«نعم أتوقع منك أن تصدقى... سوف أغادر هذا المكان فى خلال أقل من شهر وسأعود إلى التدريس ولن نلتقى أنا وآدم مرة أخرى.»

«ألا يضايقك ذلك؟ أقصد فكرة الرحيل من هنا؟»

«سأفتقد الأطفال كثيرا...» أجابتها ليزا وهى ترى نظرات التكذيب فى عينى خالتها...

«... والآن بعد إذنك.»

صاحت بها مولى بعد أن ابتعدت ليزا قليلا:

«لكن يا ليزا...»

قاطعتها ليزا فى برود:

«لا أود مناقشة الموضوع أكثر من ذلك.»

بدا الارتباك الشديد على مولى:

«لكن كنت متأكدة جدا أن...»

قاطعتها ليزا فى حسم:

www.elromancia.com

«كنت مخطئة. انت وامى كلاكما مخطئ فى ظنه. آدم فاندلبير ليس الرجل المناسب لى.. أراك لاحقا يا خالة مولى.»

قالتها وأسرعت تخطو ناحية المنزل وهى لا تكاد ترى ما أمامها. وصل إلى مسامعها صياح الأطفال فى جذل وسرور وهما يتعلمان ركوب الخيل مع عمهما... واحست فجأة بانها وحيدة وحيدة للغاية!!! ليس هناك مكان لها فى «فيرفيو» وقريبا لن يكون احد بحاجة إليها... ولا حتى الصغيرين!!

معها ذكريات لن تستطيع محوها احد أو شئ!!!

١٢ ـ قولى أوافق

أعد آدم حفلة شواء تكريما لأم ليزا وخالتها فى مساء السبت السابق لرحيلهما، ودعى ويللا ووالديها وكين رودمان والعديد من العائلات من المزارع المجاورة كذلك.

رتبت الموقد فى صباح يوم الحفلة فى الحديقة وأعدت للاشعال ووضعت الوائد والكراسى وبنى آدم تكعيبة خشبية ليزود الوائد بالاضاءة اللازمة... انشغلت ليزا معظم ذلك اليوم بالمساعدة فى اعداد السلاطات فى المطبخ وكان الألم ينهش قلبها لدنو موعد رحيلها، وبدا كما لو أن ديزى هى الأخرى حزينة!!

«آنسة ليزا!! إن هذا البيت العتيق لن يكون أبدا كما كان عندما تغادرينه.»

قالت ديزى وهى تقطع الطماطم وقد تألق الحزن فى عينيها الوادعتين.

أجابتها ليزا مبتسمة فى أسى:

«شكرا لك يا ديزى. لقد أحببت هذا المكان لكن، لكل شئ نهاية!!»

www.elromancia.com

هزت ديزى رأسها واستأنفت عملها وأخذت تغمغم عن هؤلاء الناس الذين لا يعلمون قيمة ما يمتلكون إلا عندما يفقدون، ولم تجرؤ ليزا على سؤالها عن قصدها.

فى عصر ذلك اليوم وبينما ليزا فى غرفتها لا تدرى ماذا ترتدى فى هذه المناسبة سمعت طرقات على الباب...

«ألم ترتدى ثيابك بعد؟!» سألتها أمها تستحثها على النزول.« إن السيد جاكسون والسيدة حرمه قد وصلا فعلا، وكذلك ذلك الشاب اللطيف السيد رودمان، ذلك الذى تناول معنا العشاء يوم عيد الميلاد.»

«لا أعرف ماذا ارتدى!!» ظهرت الحيرة على ملامح ليزا.

«ما رأيك فى هذا الفستان الحريرى الجميل و، ما هذا؟»

سألتها وهى تخرج صندوقا مخفيا وسط الملابس.

ظهر القلق على وجه ليزا:

«أماه لا... !» كانت أمها قد فتحت الصندوق فعلا!!

«الله!! يا له من وشاح جميل!! لابد أن ترتديه مع الفستان.»

«لا، لا أستطيع.»

«ولماذا بحق الله؟!» وأخذت أمها تقلب الوشاح وهى تتأمله وتتأمل الزخارف الجميلة المزركشة على أطرافه...

«... ماذا هل به خطأ ما؟!»

ازدرت ليزا لعابها فى صعوبة وهى تجيب:

«ليس به شئ خطأ لكن، لا أستطيع أن أرتديه.»

خفضت سيليا بالوشاح جانبا:

«اذا، لماذا اشتريته وأنت لن تلبسيه؟!»

بادرتها ليزا دون أن تستطيع منع نفسها:

«لم أشتره...»

«آه، إنه هدية»

تنهدت ليزا فى أسى:

«وبعد يا أماه.»

«هل هو هدية من رودمان؟»

لمعت عينا ليزا على نحو غريب جعل أمها تعرف الإجابة...

«... بل هو هدية من آدم، أليس كذلك؟»

وجدت ليزا نفسها تشرح لها الأمر قائلة:

«اضطررت لقطع وشاحى ذات يوم ورأى آدم أن يهدينى هذا الوشاح كتعويض... أخبرته أنه غالى جدا ولا أستطيع أن ألبسه ولم... لم نصل الى اتفاق حوله.»

«نعم... شئ من هذا القبيل.»

وبختها أمها فى رقة:

«ألن تتوقفى عن هذه السخافة؟! اذا كان آدم قد اظهر لطفا كبيرا

www.elromancia.com

تجاهك فإن اشترى لك هذا الوشاح فإن أقل ما تفعلينه ردا على جميله أن تلبسيه. من المحتمل جدا ألا يلحظ ماذا ترتدينه... كغيره من الرجال.»

أجابتها فى حنق:

«سيلاحظ أننى ارتديه وساعتها سينظر إلى بعينين ملؤها الزهو بالانتصار على.»

«الانتصار عليك؟ لست أدرى لماذا يزهو بالانتصار عليك... لكن هل تعتقدين حقا أن الأمر يستحق منه هذا العناء؟»

حدقت ليزا لوهلة وهى تفكر فى أن تبوح لها بالحقيقة لكنها... قررت أخيرا...

«معك حقك لا يستحق. ناولينى هذا الوشاح.»

انضمت ليزا إلى الجمع بعد ذلك بدقائق وجلست فى المقعد المجاور لأمها التى رافقتها فى حنان بالغ والسرور يكاد ينطق فى عينيها. كانت ليزا تتفادى الاختلاط بالناس ولكن كان من يقابلونها يصافحونها ويحيونها بتلك الحرارة المعروفة عن أهل الكارو بينما انشغل جوش وكيت باللهو مع بقية الأطفال.. وأحست ليزا بالتحرر قليلا من واجباتها.

أبصرت ليزا «ويللا» وأوما كل منهما للأخرى فى برود لكن ليزا أحست بالصدمة الهائلة من جمال تلك الفتاة على غير عادتها كانت ويللا ترتدى فستانا حريريا زمردى اللون ناسب كثيرا لون عينيها وبدت كما لو كانت حورية من حوريات الأساطير الاسكندنافية!! وكانت قد عقصت شعرها على رأسها وبدا مشرقا متلألئا لكن... كانت تلك النقة

البالغة بالنفس التى كانت «ويللا» تتعامل بها مع الجميع هى ما جعل ليزا تحس بسكاكين مغروسة فى قلبها!! هذا المكان يخص ويللا... هنا فى «فيرفيو»... زوجة لأدم!!!

أوقدت النيران والتف حولها الرجال يتناولون العصائر والمرطبات بينما انهمكت النساء فى الثرثرة ومناقشة أخر الاشاعات... كعادة معظم النساء!! كان المساء قد أقبل وأحست ليزا بعدم الراحة فذهبت إلى ديزى فى المطبخ لتساعدها فى اعداد الطعام... ووجدها أدم هناك... منهمكة فى اعداد طبق من المشهيات...

تحسس طرف وشاحها الحريرى فى عذوبة لم تعهدها فيه من قبل...

«كنت أظن أنك لن تلبسيه أبدا.»

«لقد غيرت رأيى.»

«وأنا سعيد لذلك.» قالها وغمز لها بطرف عينه وأسرع يخطو خارجا على غير عادته.

وقفت ليزا برهة مشدوهة من تصرفه ثم قررت تناسى الأمر فى النهاية...

«هل يمكننى مساعدتك فى أى شئ؟» سألها كين رودمان وهو يدلف إلى المطبخ..

«هل اللحم جاهز؟»

«يا سلام!! على أفضل ما يكون!!» وأخذ يتحسس أطباق السلاطات بنظراته النهمة...

حملت ليزا صنية كبيرة ووضعتها فى يديه قائلة:

«خذ هذه إلى الخارج... اتفقنا؟»

«تحت أمرك يا صغيرتى.»

وتبعته ليزا وديزى ببقية الصوانى وعندما تم اعداد المائدة دعا آدم ضيوفه لتناول العشاء.

حرصت ويللا على أن تجلس إلى جوار آدم وأخذت ليزا ترقبها والغيرة تكاد تمزق نياط قلبها... لكنها تعلمت أن تتعايش مع الأمر!! هى تعلم أن هذه هى طريقة «ويللا» فى إظهار ملكيتها لآدم وللمكان!!

لكزت مولى ليزا بكوعها وهى تقول فى تهكم واضح:

«يا لهذه الفتاة!! إنها لا تكاد ترفع نظرها عنه.. لكننى لا ألومها هى...»

ربتت سيليا على ذراع ابنتها قائلة:

«لا تبالى بهذه الفتاة وتصرفاتها يا حبيبتى.»

همست ليزا لها فى حدة:

«ليس ذلك من شأننا يا أماه!! كما أن ذلك لا يهمنى مطلقا.»

أجابتها سيليا فى هدوء:

«طبعا... طبعا يا عزيزتى.»

وضعت ويللا يدها فى يد آدم فاستدار لها وأحست ليزا ساعتها بمعدتها تتقلص فى عنف. كانت الغيرة تأكل قلبها... الغيرة التى بدأت الآن تعرف ما هى وتعانى من الامها. خفضت ليزا عينيها وهى تحاول أن

تسيطر على تلك الرجفات التى أخذت تسرى فى جسدها!

«إنك لا تأكلين يا عزيزتى...» قالت أمها وقد بدا عليها الاهتمام..

أزاحت ليزا الطبق الذى أمامها جانبا وقالت فى امتعاض ظاهر:

«لست جائعة.»

بدا الاندهاش الشديد على وجه سيليا مورو، لكن ليزا أحست بطريقة أو بأخرى بأن هذه الدهشة الظاهرة على وجه أمها ما هى إلا قناع يخفى وراءه ابتسامة غريبة..!! أحست ليزا بأن هذه الحفلة لن تنتهى... وأقبل التوأمان نحو ليزا فى كسل وخمول وقد بدا عليهما النعاس فنهضت من مكانها وصعدت بهما وأدخلتهما فراشهما...

عندما عادت ليزا كانت الضحكات تمرح فى أرجاء المكان وبد الجميع فى سعادة سواها.. دهشت ليزا عندما وجدت «ويللا» تبحث عنها وتنضم إليها...

أخذت ويللا بذراع ليزا وانتحت بها جانبا وهى تقول:

«ستغادرينا قريبا يا ليزا..»

«نعم... سوف أغادر بعد أسبوعين بالضبط. لو شئت الدقة يا... ويللا..»

«هل تتشوقين للعودة إلى المدينة؟»

أجابتها ليزا فى برود:

«نعم... أنا متشوقة للعودة إلى التدريس.»

www.elromancia.com

ابتسمت ويللا فى عذوبة مصطنعة:

«نعم... طبعا. طبعا. نسيت إنك مدرسة وذلك يفكرنى بأن الأطفال سيدخلون مدرسة داخلية. أوه!!! ما إن يبتعدا عن يدى آدم حتى...» توقفت ونظرت إلى ليزا نظرة ذات مغزى ثم أضافت... «تعلمين ما أقصد.»

«نعم... أعرف.» قالت ليزا وشفتاها ترتجفان ارتجافة طفيفة لم تفلتها ويللا.

«أوه يا عزيزتى!!! لقد حذرتك ألا تتمادى معه!!»

ضربة موفقة من ويللا!!! إلى قلب ليزا مباشرة مما جعلها تغمض عينها فى ألم، لكنها استجمعت نفسها فى سرعة وواجهت نظرة السخرية فى عينى ويللا بهدوء كانت تظن أنها لم تعد تملك منه شيئا.

«نعم... حذرتنى يا ويللا وصدقينى إذا قلت لك أننى... أتمنى لكما التوفيق من كل قلبى.»

ظهر التكذيب فى عينى الفتاة وهى تقول:

«أصدق أنك تقصدين ذلك فعلا.»

أومأت ليزا برأسها ايجابا وفى حلقها غصة.

«أتحبينه وتهتمين بأمره لدرجة أنك تتمنى التوفيق له مع شخص غيرك؟» ألحت ويللا وقد انعقد حاجباها الجميلان دهشة وتكذيبا.

«أعترف لك أننى لم أكن أحمل لك تقديرا كبيرا من قبل، لكننى

بالتأكيد معجبة بموقفك غير الأنانى هذا.»

«لا تشغلى بالك.» قالتها ليزا وضغطت على يديها واستدارت على عقبيها وخطت نحو المنزل لا تكاد تبصر طريقها.

فلتعلم ويللا بمشاعرها تجاه آدم أو لا تعلم... فكل ما يشغل بالها الآن هو الهروب من أمامها. ولتختلى بنفسها قليلا لتحاول التغلب على تلك البرودة التى استحوذت عليها تماما.

«لحظة من فضلك!!» صفع سمعها صوت جوهرى وقبضت على ذراعها أصابع قوية فتوقفت من فورها... «أين تذهبين؟»

«كنت صاعدة إلى غرفتى لبضع دقائق.» حاولت التخلص من قبضته لكنه مشط وجهها بنظراته الفاحصة وشدد من قبضته على ذراعها.

«ماذا؟ هل حدث شئ؟ هل ضايقك أحد؟»

«أبدا! أبدا! كل شئ على ما يرام و...»

قاطعها وهو يمسك بكتفها فى شئ من الحدة:

«إنك ترتجفين! هل أنت مريضة؟»

«لا... لا.» لكنها لم تستطع منع أسنانها من الاصتكاك.

«تعالى معى...» ولم ينتظر أن تتبعه وسحبها معه إلى مكتبه وأضاء المصباح الموضوع بجواره وأغلق الباب خلفهما.

أخذ يتأملها ثم وضع يديها المرتجفتين فى يديه ووضعهما على صدره

www.elromancia.com

قائلا...

«يا الله!! إن يديك باردتين كالثلج!!»

«يجب أن أذهب.»

لاحظت أن وجهه شاحب بشكل لم تعتده من قبل..

«ليزا! ليزا!...» غمغم فى حرارة ودفء وهو يضيف...

«يا إلهى! لا يمكن أن أتركك تذهبين يا ليزا... حياتى لن تعود أبدا كما كانت... لقد أضيفت عليها مذاقا جميلا لم أعتده من قبل.»

أحست ليزا بالدماء تسرى فى عروقها من جديد وكان روحها ردت إليها لكن... لابد أن تأخذ حذرها...

«آدم، إنك لا تعى ما تقول.»

تألقت عيناه فى حرارة:

«بل أعى تماما ما أقول، أيتها الساحرة الصغيرة!! لا أعلم كيف استطعت أن تفعلى ذلك بى، لكنه شعور عجيب ذلك الذى يمكن أن ينتاب رجلا مثلى عندما تتسلل فتاة رائعة مثلك تحت جلده وتسرى فى عروقه!!»

قاطعته فى وهن:

«آدم...»

لكنه لم يكن هناك:

«أعلم أنك لا تبالى بى كثيرا لكن... يا إلهى سأجعلك تهتمين بشكل

أو بآخر.»

«آدم...»

قاطعتها نظرة حنان صافية مليئة بالحب، تمالكت نفسها رغم ذلك:

«آدم، لست آدم الذى أعرفه. أنت...»

«معك كل حق. لست أنا آدم الذى أعرفه.» قاطعها فى غضب..

«لم أعد كما كنت منذ أن تسللت إلى حياتى وزلزلت أساساتها التى شيدتها بكل عناية.»

يا إلهى ذلك جميل... جميل ولكن.. يجب أن تفكر فى ويللا! دفعته بيديها بكل ما أوتيت من قوة...

«إنك لا تعنى حقا ما تقول. ربما تكون قد نسيت أن أخبرتنى يوما أنك لم تتحمل وجودى فى بيتك إلا من أجل الطفلين.»

«وهل نسيت ما الذى دفعنى لقول ذلك؟».

«كنت غاضبة ساعتها ولم أدرك ما أقول.»

«قلت إننى أبغض إنسان على ظهر هذه الأرض بالنسبة لك.»

«لم أكن أعنى ذلك فعلا.»

«تزوجينى يا ليزا.»

انتفضت مبتعدة عنه وهى تصرخ:

«لا! لا! لا أستطيع!»

www.elromancia.com

«ولم؟»

«لست الزوجة التى تناسبك كما أنك... أنك لست تعنى ما تقول.»

«إن صبرى يكاد ينفذ ولن أقبل أن تكون الاجابة لا.»

أحست بدوار شديد وسألته:

«لكن... وماذا عن ويللا؟»

قطب جبينه فى ذهول:

«ويللا؟! وما شانها ويللا بهذا؟!!»

«لكنها... لكنها...» تلعثمت ولم تستطع أن تكمل عبارتها وأحست من نظراته أن فى الأمر خطأ ما... «لست أفهم ما يجرى!!»

«ولا أنا. أتتكرمين بالتوضيح؟!»

ووقفت تتارجح وتكاد تسقط إلى إن اصطدمت يدها بالمكتب فاستندت عليه. ماذا؟ هل تكون أخطأت فى فهم آدم؟ ازدردت لعابها فى صعوبة وتمتمت...

«قالت لى ويللا، أنكما تنويان الزواج بمجرد أن يدخل التوأمان المدرسة.»

ضاقت حدقتا عينيه فى غضب:

«هل ذكرت كلمة الزواج» فعلا؟»

عصرت ذهنها وهى تحاول التذكر:

«أنا؟ آه الآن أتذكر... لا لم تذكرها. قالت- من أول ما قالت- أنك أنك مرتبط.»

«وفهمت أن «مرتبط» هذه تعنى الزواج؟»

تغير لونها وهى تجيبه:

«وما الذى يمكن أن تعنيه غير ذلك؟ ثم هذا المساء قالت»

قاطعها فى حدة جعلتها تنكمش فى مكانها:

«ماذا قالت لك مساء اليوم؟»

«قالت أنك تنتظر حتى يذهب الطفلان إلى مدرسة داخلية فيبتعدا عن يديك. ولم تقل شيئا بعد ذلك. وأظن أنها لم تكن بحاجة لقول المزيد.»

أجابها فى هدوء:

«وأنت خالت عليك تلميحاتها المحبوكة هذه بكل بساطة!!»

«لم يكن من سبب لئلا أصدقها يا آدم. لطالما كنت أعتبرها الزوجة المثالية لك فهى تعرف كل شئ عن تربية الأغنام، وهو شئ يفضله جدا، أى رجل مثلك، كما أنها قوية وسليمة البدن، وليست مثل» قطعت حديثها فجأة ودون شعور أخذت يدها تتحسس الندب التى على وجهها...

«انسى ذلك!!» زجرها آدم فى حدة وهو يزيح يدها عن وجهها ثم ينظر فى عينيها قائلا:

«أحبك يا ليزا! لم أقل هذه الكلمة لامرأة من قبل سواك.»

www.elromancia.com

أخذ قلبها يدق فى عنف حتى إنها لم تستطيع الكلام...

«... تزوجينى يا ليزا! أعلم أننى أتحامل عليك كثيرا عندما أتوقع منك عمل الكثير مع هذين الشيطانين الصغيرين اللذين وضعتهما الأقدار فى طريقى، ولكنك لا تستطيعين رفضى...»

سرت فى عروقها نسائم سعادة لا توصف.. لكنها بعد تلك الأسابيع الطويلة التى قضتها فى حزن وكآبة لا تكاد تصدق...

«أنا أحب جوش وكيت ولكن ماذا... ماذا ستقول لويللا؟»

صاح فيها مغضبا:

«فلتذهب ويللا إلى الجحيم!» ثم همس بحنان بالغ فى أذنيها:

«انتشلينى من بؤسى يا ليزا... وقولى أنك ستتزوجيننى.»

«أووه يا آدم...»

وجرت الدموع على وجنتها أنهارا..

«هل تبكين يا حياتى؟» وأخذ يقبل رأسها فى حنان وأضاف:

«... هل يعنى ذلك أن الاجابة نعم».»

تنهدت فى ارتياح وهى تقول:

«نعم... نعم.. يا آدم... نعم يا حبيبى.»